الفَتَاوَى

مِنْ شَرحِ عُمدَةِ الفِقهِ

(كِتابُ الطَّهَارةِ)

الْمُلْقَاة بمسجد الأميرة نورة بنت عبدالله -رَحِمَهَا اللهُ- بالرِّياض

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدُّكتور

محمدِ بنِ محمَّدِ الْمُختارِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مَزْيَدٍ الجَكْنِيِّ الشَّنقيطيِّ

الْمُدرِّسِ بالْحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ

وعضوِ هيئةِ كبارِ العُلماءِ بالْمَملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ

حفظَهُ اللهُ تَعَالَى وَنَفَع بِعِلمِهِ وغَفَرَ لهُ ولِوَالِدَيهِ ولِجَميعِ الْمُسلِمِينَ

ملاحظة: هذه الفَتَاوَى لم تُرَاجَعْ من فَضِيلَةِ الشَّيخ -حَفِظَهُ اللهُ-.

رقم الدرس	٦
تاريخه	الجمعة المغرب ٣-٦-١٤٣٢هـ

السؤال الأول:

يقولُ السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخ، ذكرْتُم -حَفِظَكُمُ اللهُ- **أنه إذا وُجِدَ ما يُشعَبُ به الإناءَ غيرَ الفضة فلا يجوزُ استعمالُ الفضة، أمَّا إذا لم يوجدْ غيرَ الفضة، فيجوزُ للحاجة، والسُّؤالُ: في هذه الحالة هل تُسمّى حاجةً أم ضرورةً، وما الفرقُ بينهما؟**

الجواب:

بِاسمِ اللهِ، الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

بالنِّسبة للإناء إذا انكسر، وشَعَبَهُ بالفضة، فإنه محتاجٌ إليه، ومسألةُ الضَّرورة، هي ليست بضرورةٍ، **الضَّرورةُ ضابطُها**: الخوفُ على النَّفس، أو على عضوٍ من أعضائه **في أحد الوجهينِ عند العلماء**، إذا خاف الإنسانُ على نفسه الهلاك، فهو مضطرٌّ **وجهًا واحدًا**.

وإذا خاف على عضوٍ من أعضائه، كشخصٍ مثلاً قال له الأطباءُ المأمونون، وأُجْرِيتَ له عمليةٌ في عينه، وقيل له: لو سجدتَّ يذهبُ بصرُك، فهذا خوفٌ على عضوٍ من الأعضاء، فيتركُ السُّجودَ اضطرارًا، هذا يُعتبرُ مضطرًا أنه لو سجد، ذهبَ بصرُه.

أمَّا بالنِّسبة للحاجة: الحاجةُ توجبُ الحرجَ، وهي التي لا تصلُ إلى الخوف على النَّفس، ولكنَّها توجبُ للإنسان الضِّيقَ والحرجَ، وهي مُنتفيةٌ شرعًا؛ لقوله -تَعَالَى-: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**(١).

ومن أمثلتها: أنَّ الإنسانَ لو صام وهو مسافرٌ، فإنه في بعض أحوال السَّفر لا يخشى الهلاكَ، كونه يمسكُ عن الطَّعام والشَّراب يومًا، هذا لا يُوجبُ هلاكَه.

ولكنَّه إذا كان في مشقة السّفر، فالغالبُ أنه يَضيقُ ويتأذَّى ويتضرَّرُ ضررًا لا يبلغُ الخوفَ على النَّفس ولا على عضوٍ من أعضائه، فيقال: (محتاجٌ)، **هذه درجةُ الحاجة**، وهي المشقةُ المؤذيةُ المقدورُ عليها، لا يَرِدُ بمثلها إلزامٌ في الشَّرع، فيُخَيَّرُ بين الفعل والتَّرك في مثل هذا، **هذا مقامُ الحاجيّات**.

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

ومن أمثلتها: الألمُ الشَّديدُ إذا كان يريدُ خلعَ ضرسه، الأصلُ ما يجوزُ للإنسان أن يخلعَ ضرسَه، ولا يقطعَ عضوًا من أعضائه، ولا أن يخرِجَ هذا العضوَ من بدنه إلا إذا أَذِنَ له الشَّرعُ بذلك، فلو حصل الألمُ الشَّديدُ من الضِّرس، خاصةً في القديم، فقال الطَّبيبُ: ليس لك علاجٌ إلا أن نخلعَ ضرسَك، هذا لا يخافُ الموت، ولكنَّ الألمَ الذي يَصحبُه يجعلُه في ضيقٍ من مصالح الدِّين والدُّنيا ويتأذَّى بهذا، فلو قلنا له: ابقَ على الألم، فمعناه أننا أبقيناه على الحرج، والشَّرعُ لا يأتي بالحرج، ومن هنا نقول: يُرخَّصُ لك، لكنَّها رخصةُ حاجةٍ، وليست بضرورةٍ.

إذًا أصبح عندنا ما يصلُ إلى درجة الخوف على النَّفس، أو عضوٍ من الأعضاء، **هذه (ضرورةٌ)**.

وأصبح عندنا ما يوجبُ الضِّيقَ والعنتَ والأذى، فهذا يُسمّى **(حاجةً)**، مقامُه مقامُ الحاجيّات، ولذلك رخَّصَتِ الشَّريعةُ في ترك الصَّلاة مع الجماعة لوجود المطر، وأُذِنَ أن يقولَ المؤذِّنُ: **(الصَّلاةُ في الرِّحال)**؛ لأنه إذا خرج في المطر تأذَّى، لكنه لا يخافُ على نفسه غالبًا الموت.

طبعًا إذا خاف ما فيه إشكالٌ، لكن نتكلَّمُ على الوصف الغالب في المطر، أنه يُوجبُ حرجَ الناس، وهكذا حينما رخَّصَتْ في الجمع بين الصَّلاتين؛ كلُّه لدفع الحرج أن ينزلَ لكلّ صلاةٍ ويصليها، فهذا كلُّه من التَّوسعة.

فالشَّريعةُ إذا أصبح الإنسانُ في مقام الضّيق ومقام العنت الذي لا يصلُ الخوفَ على النَّفس، أو على عضوٍ من الأعضاء، يقال: **(حاجةٌ)**، القاعدةُ عند العلماء: **"أنَّ الحاجةَ تُنَزَّلُ منزلةَ الضَّرورة عامَّةً كانَتْ أو خاصَّةً"**، هذا المقامُ مقامُ الحاجة يوجبُ الرُّخصةَ.

ودليلُنا: قولُه -تَعَالَى-: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}**(1)، وقولُه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ}**(2)، ومن العسر هذا النَّوع أننا نُعَسِّرُ على الإنسان ونُضيِّقُ عليه، فهذا كلّه ليس فيه خوفٌ على النفس.

ومنها مثلاً: لو كان الشَّخصُ على أكثر من مسافة بَريدٍ من المدينة، خاصةً في القديم قبل السيارات وقبل المواصلات، فإننا لو ألزمناه بصلاة الجمعة، أن يخرجَ هذه المسافة كلّها، أكثر من اثني عشر ميلاً،

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

يمشي بها إلى المسجد، وألزمناه بصلاة الجمعة، لا يخافُ على نفسه، ولا على عضوٍ من أعضائه، لكنه في ذهابه ورجوعه فيه حرجٌ عليه ومشقةٌ.

وبناءً على ذلك، خفَّفَتِ الشَّريعةُ، وأسقطَتِ التَّكاليفَ.

وإذا كان الأمرُ لازمًا خَيَّرَتْ في بعض الأحيان، كالمسافر يُخَيَّرُ بين الفطر وبين الصَّوم، وربما أسقطَتْ عنه، حتى إنَّ بعضَ العلماء يقولُ: الأفضلُ قد تستحبُّ الرُّخصةُ في مثل هذا، إذا وصل إلى الحرج والضّيق والعنت، فإنه يُرخَّصُ له، ويكون محتاجًا.

فالرُّخَصُ بالحاجة غيرُ الرُّخص بالضَّرورة، وهنا الرُّخَصُ حاجةٌ، شَعْبُ الإناء إذا انكسر حاجِيٌّ؛ لأنه يريدُه للشُّرب وللأكل، ويريدُه أن يرتفقَ به في مصالحه، ويمكنُه أن يحقِّقَ المصالحَ بيده، يأكلُ بيده، لكنَّ فيه ضيقًا عليه إذا انشعب الإناءُ، وقلنا له: اتركْ إناءَك ولا تصلحْه، هذا فيه نوعٌ من الحرج، ويعتبرُ حاجيًّا، وليس بضروريٍّ، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الثاني:

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: هل حليبُ الأُمّ إذا وُضِعَ في الرَّضَّاعة إلى واحدٍ، ثم أُعطِيَ طفلاً آخر، هل يكونُ هذا من الرَّضاع المحرِّم؟

الجواب:

هذه المسألة، **أولاً**: يا ليتني كنْتُ السَّائلَ؛ لأنك قُلْتَ: (رحمَه اللهُ)، يا ليتني السَّائلُ، رحمنا اللهُ برحمته جميعًا.

بالنِّسبة للسُّؤال: هذا فيه تفصيلٌ: يعني قد يكونُ مرادُ السَّائل إذا وُضِعَ في إناءٍ، وشرب منه أكثرُ من رضيعٍ، رضيعانِ مثلاً.

نقولُ: إذا شربا اللَّبنَ الموجودَ في هذه الرَّضَّاعة، وكانَت كبيرةَ الحجم، بحيث رضع كلُّ واحدٍ منهما خمسَ رضعاتٍ مُشبعاتٍ، وقع التَّحريمُ، كما لو التقمَ الثَّديَ، وارتضعَ منه خمسَ رضعاتٍ مُشبعاتٍ، أمَّا إذا لم تكُنِ الرَّضعاتُ مُشبعاتٍ: فلا إشكالَ، سواء برضَّاعةٍ أو بدون رضَّاعةٍ.

إذًا العبرةُ بوجود العدد الخمس.

لكن نُنَبِّهُ على مسألةٍ: وهي أنَّ شرطَ الرَّضَاعة أن تكونَ مُشبعةً، أن يأخذَ الرَّضيعُ الثَّديَ، ثم يتركَه باختياره، فلو مَزعَتِ الأُمُّ ثديَها من فم الصّبي، ثم رجع الصَّبيُّ ثانيةً، فهي رضعةٌ واحدةٌ، ولو مُزِعَتِ الرَّضَّاعةَ من فمه، ثم أُعِيدَتْ له، فهي رضعةٌ واحدةٌ.

لا بد، وأن يتركَ باختياره، فإذا ترك باختياره، فهي رضعةٌ تامةٌ.

وأمَّا إذا مُزِعَ منه الثَّديُ، أو أُخِذَتْ منه الرَّضَّاعةُ، فهذا لا يُعتبرُ.

ولا يُشترَطُ اختلافُ المجلس؛ لأنَّ العبرةَ بعدد الرَّضَاعات، وقد قال -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- في الحديث الصَّحيح، حديث سالم مولى أبي حُذيفة، قال لامرأته: ((**أَرْضِعِيْهِ خَمْسًا تَحْرُمِي عَلَيْهِ**))، ولم يَقُلْ: (في مجلسٍ واحدٍ)، ولا (في مجالسَ متعدّدةٍ)، بل أطلق، والقاعدةُ: "**في المطلَقَ أنه يبقى على إطلاقه**"، وهكذا في حديث عائشةَ في الصَّحيح عنها -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- مطلقٌ أيضًا ((**كَانَ فِيْمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُوْمَاتٌ يُحَرِّمْنَ، فَنُسِخَ بِخَمسٍ، فَتُوُفِّي رَسُوْلُ اللهِ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، **وَهُنَّ مِمَّا يُتْلَى مِنْ الْقُرْآنِ**))، فالعبرةُ بوجود الخمس رَضَعاتٍ المعتبرة، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الثالث:

يقول السَّائلُ: وجدتُّ أثرَ احتلامٍ على ملابسي متأخّرًا، ولا أدري متى كان، فما الحكمُ جزاكم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

إذا وجدتَّ أثرَ الاحتلام، وكنْتَ قد نمْتَ مرَّتينِ، كأن يكونَ الشَّخصُ نام بعد صلاة الفجر، ثم نام بعد صلاة الظُّهر، ثم وجد أثرَ الاحتلام بعد صلاة العصر، فيَنسِبُ إلى نومة الظُّهر؛ لأنَّ القاعدةَ الشَّرعية: "**يُنسَبُ لأقربِ حادثٍ**".

"**يُنسَبُ لأقربِ حادثٍ**"؛ لأننا على يقينٍ أنه كان مُحدِثًا في هذه النَّومة، وعلى شكٍّ في التي قبلها، فنَستصحِبُ الأصلَ في التي قبلها من كونه طاهرًا غير مُحدِثٍ حَدَثًا أكبرَ، فيُنسَبُ لأقرب حادثٍ، **فمن فروع هذه القاعدة:** هذه المسألة.

فإذا نام باللَّيل، ثم نام بعد الفجر، ثم استيقظ بعد طلوع الشَّمس، ووجد أثرَ المني قبل صلاة الظهر.

نقولُ: لا يلزمُك إعادةُ الصلاة؛ لأنه منسوبٌ إلى النَّومة التي بعد الفجر، وليس بينك وبينها صلاةٌ.

وأمَّا بالنِّسبة للحالة الأولى: فيلزمُه أن يُعيدَ صلاةَ العصر فقط، **في الحالة الأولى**، إذا كان قد نام بعد الفجر ونام بعد الظُّهر، فإننا ننسبُها إلى ما بعد الظُّهر، وهو قد وجدَها بعد العصر، فنلُزمه بإعادة صلاة العصر فقط.

وأمَّا بالنِّسبة في الصُّورة الثانية: فإننا لا نلزمُه بإعادةٍ؛ لأنه ليس بينه وبين الثاني أيّ حَدَثٍ، والله -تَعَالَى- أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رقم الدرس	٨
تاريخه	الجمعة المغرب ٢٢-٧-١٤٣٢هـ

السؤال الأول:

يقول السائل: فضيلةَ الشَّيخ، أثابَكُم اللهُ تعالى، إذا شددْتُ الشِّماغَ على رأسي بقوّةٍ في الشّتاء، وأدرتُه تحتَ الحَنَك، فهل يجوزُ لي أن أمسحُ عليه، جزاكُم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

بِاسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

إذا كان ذلك على صفة العمامة فلا بأسَ أن تمسحَ عليه؛ لأنه آخذٌ حكمَ العمامة.

والعمامةُ تكونُ بالشِّماغ وبغيره، يمكن الشِّماغ يُصنعُ أو يُلفُّ على هيئة العمامة، فإذا كان على هيئة العمامة، نَعَم.

وأمَّا إذا كان على غير هيئتها، **فلا أحفظُ في ذلك أصلاً**، إنما يُرخَّصُ بالوارد وحدود الوارد، الواردُ أن يكونَ على صفة العمامة، فإذا كان على صفة العمامة فإنه يُرخَّصُ في المسح عليه كما ورد عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الثاني:

يقول: فضيلةَ الشَّيخ، رفعَ اللهُ قدرَكم، ما هي نصيحتُكم لطالب العلم الذي تكاسلَ بعد الزَّواج، وتقاعسَ في طلب العلم وفي العبادة، نريدُ منكم وصيةً له مأجورين؟

الجواب:

لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، هذه المسألةُ تحتاجُ إلى نظرٍ، إذا تقاعس الإنسانُ بعد الزَّواج عن بعض الطَّاعات، **فلا يخلو من حالتَين:**

الحالةُ الأولى: أن يكونَ هذا التَّقاعسُ طبيعيًّا، وشيئًا جبليًّا، ولا يمكن للإنسان أن ينفكَّ عنه، لأنَّ الزَّواجَ مسؤوليةٌ، وفيه التزاماتٌ، وفيه حقوقٌ، وفيه واجباتٌ، فحينئذٍ عليه أن ينتبهَ لدخل الشيطان؛ لأنه يدخلُ عليه، ويحقِّرَ أمرَ الأهل، وأمرَ الزَّواج، ويقول له: فاتَتْكَ العباداتُ، وفاتَتْكَ الطَّاعات، يا ليتك لم تتزوَّجْ، ويا ليتَك كذا وكذا.

توضيحُ هذا: شخصٌ كان يختمُ القرآن كلَّ ثلاثِ ليالٍ: إمَّا في قيام ليل، أو بين قيام الليل وقراءة النَّهار، بحيث يقرأُ نصفَ المقرأ في الليل، ونصفَ المقرأ في النهار، حتى يتمَّ الختمَ ثلاثةَ أيامٍ، فلما تزوَّجَ أصبح ما يختمُّ حتى يمكن في عشرة أيام.

شخصٌ كان يصومُ الاثنين والخميس، فلما تزوَّجَ ضعُفَ عن صيام الاثنين والخميس.

شخصٌ مثلاً كان يذهبُ إلى الأيتام والأرامل والأنشطة الخيرية؛ لأنَّ الوقتَ عنده متسعٌ، ويستطيعُ أن يتفقَّدَ هذه الأُسرَ الضَّعيفةَ والنَّاسَ المحتاجين، ونحو ذلك، فلما تزوَّجَ أصبح يُؤدّي ربعَ ذلك، أو نصفَ ذلك، أو ثلثَ ذلك، **نقولُ له:** أخي، أبشرْ بخيرٍ، **الذي عليك كالآتي:**

أولاً: تتمنى أن لو كنْتَ فارغًا؛ حتى يُكتَبَ لك الأجرَ بالتَّمني.

ثانيًا: أن تعلمَ أنك في زواجك في طاعة الله كما كنْتَ أولاً في طاعة الله، **لكن بشرط:** أن تحسنَ نيّتَك في هذا الزَّواج، وما دمْتَ تنوي به عصمةَ نفسك عن الحرام، وتنوي به اتباعَ سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وتنوي به الذُّريةَ الصَّالحةَ، وتنوي به تكثيرَ سواد الأُمّة، وتنوي به اتباعَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- بخروج النَّسل الذي يحيي سنتَه، ويكثِّرُ سوادَ أُمّته يوم القيامة، هذه كلُّها أجورٌ، وهذا الذي أنت تنشغلُ به الآن زرعٌ، وغدًا تحصدُه، فقد يخرجُ اللهُ من نسلك، وليس ذلك على الله بعزيزٍ، خاصةً إذا صدقْتَ مع الله، مَن يحيي اللهُ به الأُممَ، عالِمًا عاملاً، وداعيةً ناصحًا، ويكون هذا الخيرُ الذي يجريه اللهُ على يديك كلُّه في ميزان حسناتك؛ لأنك نويْتَ أن تخرجَ للأُمَّة ذريةً صالحةً.

فمثلُ هذا لا يدخلُ عليك فيه الشَّيطانُ، ففي هذه الحالة حينما ينظرُ الإنسانُ إلى ما كان عليه، طبعًا من نعم الله العظيمة أنَّ ذِكْرَه وطاعتَه والإنابةَ إليه، مثلاً كثرةُ تلاوة القرآن والتَّسبيحُ والتَّحميدُ، لها أثرٌ عظيمٌ على النفوس، ولها أثرٌ عظيمٌ على الأرواح؛ لأنَّ ذِكْرَ الله وصفَه اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بأنه أكبرُ، فالإنسانُ لما ما يكون عنده زواجٌ، وما عنده زوجُه، وخالي الذِّهن، وليس عنده مشاكلُ، يذكر بقلبٍ مجموعٍ، وبنفسٍ حاضرةٍ، وبخشوعٍ وبإنابةٍ، فهذا اللَّذةُ لا شكَّ أنه قد لا يجدُها بالشَّكل الذي كان يجده قبل زواجه، **فأين الإشكالُ؟**

الإشكالُ: أنَّ الشَّيطانَ يدخل عليه، حينئذٍ ويقول له: لماذا خسرْتَ هذا الخيرَ؟ وماذا تريد من هذا الزَّواج، غير أمر النِّكاح، وغير العبث بالنِّساء على الفُرُش؟ ماذا وجدتَّ؟ فيأتيه بأسلوبٍ يحقرُ له من أَمَةِ الله؛ لأنَّ المؤمنَ الموفَّقَ السَّعيدَ هو الذي ينتبهُ لمداخل الشيطان بينه وبين أهله، سواءً منه لأهله، أو من أهله له.

فليَنْتَبِهْ لهذا، وليعلَمْ أنَّ الشَّيطانَ لن يقرَّ له قرارٌ حتى يُفرِّقَ بينه وبين أهله، لا بلَّغَهُ اللهُ ذلك للمسلمين، يحرصُ كلَّ الحرص، وإذا لم يستطعْ أن يُفرِّقَ بين المسلم وزوجه، خذَّلَ الزَّوجة عن زوجها، وخذَّل الزَّوجَ عن زوجته.

ومن هذا: إذا كان طائعًا مطيعًا يأتيه من هذا الثَّغر، ثم إذا به يذهب إلى المرأة، فيُحدِثُ عندها أمورًا يبدأُ الزَّوجُ بعد أن تمضيَ فترةٌ في أول زواجه وهم مقبلٌ على امرأته يحبُّها ويكرمُها، ويشعرُ أنَّ اللهَ أكرمه بامرأةٍ صالحةٍ، وهو فرحٌ مسرورٌ، لا يشعرُ إلا وقد دخل عليه عدوُّ الله بهذه المداخل، فيبدأُ يحسُّ أنَّ حياتَه التي يعيشُها أسوأُ من الحياة التي كان فيها، وحينئذٍ لا يظهرُ كما كان يظهرُ مع زوجه، ولا يبدي لامرأته ما كان يبدي لها من المحبّة.

ثم يذهبُ عدوُّ الله إلى الزَّوجة، ويقولُ لها نفسَ الكلام، إذا كانت صالحةً يقول لها: انظري، كيف كنْتِ تقرئين؟ وكيف كنْتِ تُصلّين؟ وكيف كنْتِ تفعلين؟ وكيف، انظُري الآن كيف؟

ثم يبدأُ زوجُها يختلفُ في معاملته، فيقولُ لها: انظُري كيف زوجك؟ فتبدأُ المشاكلُ، وتبدأُ المصاعبُ؛ لأنه عدوّ الله لا يهنأُ له عيشٌ حتى يُفرِّقَ بين المؤمن والمؤمنة.

وهذا بابٌ ينبغي أن يُنْتَبَهَ له، وأن يحذرَ منه، وقد تجري به ألسنةُ الأخيار والصالحين.

صحيحٌ أنَّ الصَّحابةَ اشتكوا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- هذا، وقالوا: ((**يَا رَسُوْلَ اللهِ**)) كما في حديث حنظلة ((**إِنَّا نَكُوْنُ مَعَكَ، تُذَكِّرُنَا الْجَنَّةَ حَتَّى كَأَنَّنَا نَرَاهَا رَأْيَ عَيَانٍ، فَإِذَا انْقَلَبْنَا وَعَافَسْنَا النِّسَاءَ عَلَى الْفُرُشِ ذَهَبَ عَنَّا مَا نَجِدُهُ**))، فماذا قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: اللهُ يعينُكم، نعم الذي تقوله صحيحٌ، نبَّهَهُ، وقال: ((**لَوْ أَنَّكُمْ تَسْتَدِيْمُوْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَيَانًا، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**)).

مرادُه: أنَّ الشَّيءَ هذا كتبَه اللهُ لك، فارضَ بما كتبَه اللهُ لك، أنَّ النَّفسَ البشريةَ لا يمكنُ أن تستقيمَ على حالٍ واحدٍ، ولو أنها استقامَتْ بصدقٍ مع الله، لأراها اللهُ ما لا يخطرُ على بالٍ، حتى إنها تصافحُ الملائكةَ عِيانًا، ((**لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**)) فيه سرٌّ عجيبٌ، وفيه ملحظٌ دقيقٌ جدًّا، وهو أنَّ الموفَّقَ لو لها ساعةً مما أباح اللهُ له، واتخذ هذا اللَّهو معونةً على الطَّاعة لرجع إلى الطاعة أنشطَ مما لو استدامَ فملّها، فهذه أسرارٌ نبويّةٌ، ليس المرادَ به: أنَّ الإنسانَ فقط على مسجده ودراسته وطلبه للعلم، الإسلامُ دينٌ عظيمٌ، فالذي يتقرَّبُ إلى الله بركوعه وسجوده، يتقرَّبُ إلى الله حتى وهو مع زوجه في فراشه، ويتقرَّبُ إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- حتى في ابتسامته وضحكه، يتقرَّبُ إلى الله بإدخال السُّرور على

أهله وزوجه، بل حتى في بعض الأحيان يأمرُ ولدَه أن يدخلَ السُّرورَ على أُمِّه، ويقول له: اذهبْ وافعلْ كذا؛ كلُّه من أجل أن يكسبَ الأجرَ في هذه المرأة المؤمنة، وخاصةً في الزواج إذا استحضر الإنسانُ النِّيَّةَ في كلِّ شيءٍ، فلا يزالُ يستمتعُ ويتمتعُ بالمعاملة مع الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما دام قلبه مع الله، ينوي طاعةَ الله في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، حتى أنه لو أراد أن يقوم من مكانه نوى طاعةً من طاعةِ الله -عَزَّ وَجَلَّ- في قيامه، وعندها يصبحُ دائمَ الذِّكر لله -عَزَّ وَجَلَّ-، فلا يدخل عليه الشَّيطانُ بداخله.

هذا الأمرُ لا شكَّ أنه يكونُ جبليًّا طبيعيًّا، أنَّ الإنسانَ في شغله ليس كحاله في فراغه، وأنَّ حضورَ القلب في حال عدم المشاغل ليس كحضوره في حال الشُّغل، هذا شيءٌ كتبَه اللهُ على الإنسان، وهو موجودٌ بالجِبِلّة والطَّبع.

وعند الوعظ وتذكير الناس يجبُ أن يُؤخَذَ هذا بالحسبان، ولذلك يُحذَّرُ الإنسانُ من أقوال القرناء، لأنَّ بعضَ الأخيار إذا جلسوا مع بعضٍ من الرِّجال ومن النِّساء، قد يقعون في الخطأ وهم لا يشعرون، وقد يكونون عونًا للشيطان على أخيهم، وقد تكون المرأةُ عونًا للشَّيطان على أُختها وهي لا تدري، فمثلُ هذه الأمور يجبُ أن يُرجَعَ فيها إلى السُّنَّة، فما دام السُّنَّةُ جاءَتْ بالزَّواج، وعملَه الإنسانُ اتباعًا للسنة، لا يلتفتُ إلى ما يخذِّلُ به الشَّيطانُ أولياءَ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويريد أن يدخلَ عليه بهم، هذا ما كان من الشَّيء الجبليّ الطبيعيّ.

في هذه الحالة نقف عند أمرٍ مهمٍّ جدًّا، لماذا فَصَلْنا بين الشَّيء الجبليّ الطبيعيّ، والشَّيء الذي في مقدور الإنسان؟ الشَّيءُ الذي في مقدور الإنسان، وهو الأهمُّ الذي نريدُ أن نتحدَّثَ عنه، أن يكونَ في الزَّواج فراغٌ، وأن يكون فيه متسعٌ، وأن يكونَ فيه مجال لأعمالٍ صالحةٍ، فيتركُ الإنسانُ الأعمالَ الصَّالحةَ بحجّةٍ ليست بحجّةٍ، وبذريعةٍ ليست بذريعةٍ.

كرجلٍ كان يقومُ اللَّيلَ، ثم يقولُ بعد الزَّواج: ما أستطيعُ قيامَ الليل، ما نصدّقُه؛ لأننا ما وجدنا أنَّ الزَّواجَ يمنعُ من قيام الليل، فنقول له: بدلَ أن تقومَ عشرة أجزاء، بدلَ أن تقومَ ثمانية أجزاء، بدلَ أن كنْتَ تقومُ بستة أجزاء، قُمْ بثلاثة أجزاء، قُمْ بجزئين، ما الذي يضيرُ الإنسانُ الآن بعد صلاة العشاء أن يُغلِقَ بابَه، وأن لا يفتحَ مجالاً للسَّهر إلا إذا جاءَهُ ضيفٌ، أوجبَ اللهُ عليه إكرامَه، هذا مستثنى، فإذًا جرِّبْ صلِّ العشاءَ، ثم استفتح بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- إذا كنْتَ تقومُ أولَ الليل، ولا تثقُ بالقيام في آخر الليل، أمَّا إذا كنْتَ تستطيع أن تقومَ في آخر الليل، فنقول لهذا الذي ترك: يقومُ بحقّ الأهل

في أول الليل، وينامُ مبكرًا، ثم يقومُ قبل الفجر بساعةٍ، ليقرأَ جزءًا واحدًا من القرآن، **فيصبحُ نال أمرينِ**:

نالَ العبادةَ التي كان فيها، ولم يتركْها، وأظهر لله أنه ما تركها ولن يتركَها، فيَكتب له الأجرُ كاملاً لوجود الشغل.

وثانيًا: نال أجرَ الزواج؛ لأنَّ الزَّواجَ فيه أجرٌ، قال: ((**أَرَأَيْتَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟**))، فهذا فيه ثوابٌ، وفيه أجرٌ، وما يدريك لعلَّ النُّطفةَ التي يضعُها الإنسانُ لعبدٍ صالحٍ وذريةٍ صالحةٍ أعظمُ أجرًا عند الله من عبادة السّتّين سنةً، وما يدريك بهذا، لو خرج للأُمّة عبدٌ يؤمن بالله ويركع ويسجد، كم لك من الحسنات إذا نويْتَه، هذا في ميزان حسناتك.

فإذًا لا نقول: إنَّ الزَّواجَ مؤثّرٌ، إلا إذا كان في حالةٍ واحدةٍ، وهو الوقتُ الزَّائدُ المستفضلُ، الشَّخصُ إذا تزوَّجَ كان من عادته إذا دخل بيتَه أن يبدأ بذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- وبتلاوة القرآن وبالتَّسبيح وبالاستغفار، كان إذا أمسى وأصبح يقرأ أذكارَ الصَّباح والمساء، نقول: الزَّواجُ لا يمنع من ذكر أذكار الصباح والمساء.

إذًا لا نستطيع أن نقول: إنَّ الشَّخصَ إذا ترك ما كان عليه من الخير بعد الزَّواج أنه في شرٍّ وبلاءٍ إلا على هذا التَّفصيل:

إذا كان شيئًا جبليًّا طبيعيًّا، يرضاه، ويسايرُ نفسَه على ما فتح اللهُ عليه، فإنَّ اللهَ يفتحُ عليك بالعبادة، ويفتحُ عليك بالزّهادة في الدنيا، ثم إن شاء اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- للشَّخص الذي هو زاهدٌ أن يفتحَ عليه أموالَ الدُّنيا، فيغنِي من بعد الفقر، فكما ابتلاه بالأمس زاهدًا، يبتليه اليوم غنيًّا، فالعاقلُ لا يقول: أريدُ أن أكونَ اليوم زاهدًا، ما أريدُ المالَ، ما أريدُ كذا، يقول: يا ربّ، ماذا تأمرني وأفعل؟ فإذا كان عزبًا، لا يقول: أريدُ الزَّواجَ، إلا إذا كان يريدُ طاعةَ الله، واتباعَ السُّنَّة، وليس هوى نفسه، وإذا كان متزوِّجًا، لا يقول: يا ليتني أعزبُ، كلّ ما اختاره اللهُ لك تسيرُ فيه على نهج الشَّرع، ولا تجعلْه على هواك أن تقول: يا ليتني ما تزوَّجْتُ، أبدًا قُلْ: أين طاعةُ الله، اللهم وفّقني، اللهم سدّدني، فقد يدخلُ الرَّجُلُ على امرأته وهو عبدٌ صالحٌ، فتسبّه وتُسمِعُه ما يكرهُ، فيستحضرُ نصوصَ الكتاب ونصوصَ السنة، ويصبرُ ويحتسبُ، وهو قادرٌ أن ينفذَ غيظَه، فيقول: تعلَّمْتُ العلمَ، وهو إمَّا حجّةٌ لي أو حجّةٌ عليَّ، والله لا أردُّ عليها، أين العلمُ الذي تعلَّمْتُه؟ وكيف كنْتُ طالبَ علمٍ إذا كنْتُ أفعلُ ما يفعلُ

العوَّامُ؟ فيتتبعُ السُّنَّةَ مع زوجه، فإذا به بهذا التَّطبيق للعلم، ينال ألوفَ الحسنات التي لا ينالُها لو أمسى وأصبح راكعًا ساجدًا.

أبوابُ الخير ليست محصورةً في العبادة، أبوابُ الخير في ابتاع الشَّرع أيًّا كان، كنْتَ في بيتك مع زوجك، كنْتَ عزبًا، أبوابُ الخير كلُّها في طاعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فإذا عوَّدتَّ نفسَك على هذا الأساس، وهو أن تسأل: ما الذي فرضَ اللهُ عليك؟ وما الذي أوجب اللهُ عليَّ لكي أفعلَ ما أمرني به؟ فأنت سعيدٌ. ولذلك لا يفكِّرُ الإنسانُ أنَّ ما يهواه ويحبُّه هو الذي تكونُ به الطَّاعةُ، الطَّاعةُ تكونُ بامتثال الشَّرع على الحال الذي أنت فيه، ولا أطيلُ، لو أنَّ شخصًا كان بارًّا بوالديه، وجاءه أبوه ويقول له: اجلسْ في الدُّكان، يأتيه الشَّيطانُ ويقول له: الآن تتركُ مجالسَ العلم، وتجلسُ في الدُّكّان أمام الفتن والمعاصي، إبليسُ يريد أن ينصحُ له، أنت الشَّابُّ الملتزمُ الطّيِّبُ، بدل أن تجلسَ بين الأخيار والصالحين، تأتي في السُّوق الذي هو شرُّ البلاد عند الله، والذي فيه الفتنُ، والذي فيه المحنُ، فقيهٌ، لكن فقيهٌ لأذيةٍ وشرٍّ، هل وجدتَّه إذا كان الإنسانُ في بيته يأتيه ويقول له: اذهبْ إلى السُّوق؛ فلعلك ترى مسكينًا، يجرّه إلى الفتن جرًّا، ويجرُّ النَّاسَ إلى السُّوق للمعصية، ولكن هذا يقول له: ما الذي أدخلَك السُّوقَ وأنت رجلٌ صالحٌ؟ لكن لو قال: اللهُ أمرني ببرّي لأبي، وسأذهبُ وأنا كارهٌ لما لا يرضي اللهَ، أكره، لكن الذي يأمرني به أبي سأفعلُه، وأتقي اللهَ قدرَ ما أستطيعُ، فإذا به يدخل، والله إني لأعرفُ أقوامًا، قال أحدُهم: كنْتُ لا آمنُ الفتنةَ على نفسي، واستفتيْتُ رَجُلاً في برّي لوالدي في عملٍ في دُكّانه في السُّوق في الإجازة، وترك بعض الأنشطة، فذهب، يقول: والله إني لما شعرْتُ أني أُرضي اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يقول: والله إنَّ المرأةَ تمرُّ عَلَيَّ بأعظم ما تكونُ من الفتنة، كأنها ليسَتْ أمامي، **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}**(١).

فالشَّيطانُ لا يلبّس عليك، من تزوَّج يقول: اللهم لك الحمدُ أن سترتني، ولك الحمدُ أن عففْتني ولك الحمدُ أن رزقْتني هذه المرأةَ الصَّالحةَ، وحتى ولو كان عند المرأة بعضُ القصور يحمدُ اللهَ أنها لم تكُنْ بشرٍّ من ذلك، المهمُّ أن ترضى عن ربّك حتى يرضيك، وأن تبحثَ عن طاعته في كلّ شيءٍ أذن لك أن تطيعَه به، وإذا فعلْتَ ذلك فأنت بخير المنازل عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٢.

نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يلهمَنا السَّدادَ، وأن يوفِّقَنا للهدى والرَّشاد، وأن يحسنَ لنا ولكم الخاتمةَ في المعاد.

اللهم اغفرْ لنا ولوالدينا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا ومن أوصانا واستوصانا، وحضر مجلسنا وغاب عنا ومن أحبّنا فيك وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم ونوِّرْ على أهل القبور قبورهم، اللهم نوِّرْ على أهل القبور قبورهم، اللهم نوِّرْ على أهل القبور قبورهم، وافسحْ لهم فيها يا رب العالمين.

اللهم يسِّرْ للأحياء أمورهم، واشرحْ لهم صدورَهم، وأعذْهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اغفرْ لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

اللهم انصرْ دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، اللهم أظهرْ الهدى ودين الحق الذي ارتضيته لنفسك على الدين كله، اللهم اكتبْ لأهل هذا الدين عزًّا ونصرًا، واكتبْ لمن عاداه وآذى أهله ذلةً ومهانةً وقهرًا.

اللهم انصرْ دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، واجعلْنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اكشفْ عن أمة محمد هذه الغمة، اللهم أصلحْ أحوال المسلمين، اللهم أصلحْ أحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يا رب العالمين.

اللهم أنت الحليم الرحيم الكريم، لا إلهَ إلا أنت نعوذُ بك من شماتة الأعداء، اللهم إنا نعوذُ بك من شماتة الأعداء.

اللهم ارحمِ المسلمين، واجمعْ شملهم، وأصلحْ ذات بينهم، واهدِهم سُبُلَ السلام وأخرجْهم من الظلمات إلى النُّور، يا حيُّ يا قيومُ، يا حيُّ يا قيومُ برحمتك نستغيثُ لنا ولإخواننا أجمعين.

اللهم إنا نسألُك أن تلطفَ بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم الطفْ بهم يا أرحم الراحمين اللهم شتِّتْ جمعهم، وفرِّقْ شملَهم، ونالهم من البلاء والضنك والشقاء ما لا يُشتكى إلا إليك، ولا يعول في كشفه إلا عليك، سبحانك ما أعظمك! سبحانك ما أعظمك! سبحانك ما أكرمك! سبحانك ما أحكمك! إله الأولين والآخرين ضرعنا إليك شافعين أن تصرفَ عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن تصرفَ عن إخواننا المسلمين، وأن تلطفَ بهم أجمعين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ وباركَ على نبيِّنا محمَّدٍ.

رقم الدرس	١٠
تاريخه	الجمعة المغرب ٧-٨-١٤٣٢هـ

السؤال الأول:

يقول السائل: فضيلةَ الشَّيخِ، جزاك الله خيرًا، وزادك اللهُ علمًا وفقهًا في الدِّين، قام إمامٌ للركعة الثالثة دون الجلوس للتَّشهد الأوسط، فسبَّحَ المأمومون، فرجعَ بعد أن استتمَّ واقفًا، فما حكمُ صلاة الإمام والمأمومين؟

الجواب:

بِاسمِ اللهِ، الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

فهذه المسألةُ فيها جانبانِ:

الجانبُ الأوَّلُ: أنَّ السُّنَّةَ ثبتَتْ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- كما في الصَّحيحينِ من حديث عبدِالله بنِ مالكٍ ابن بُحينة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أُمِّهِ وَأَبِيْهِ-؛ لأنَّ مالكًا أبوه، وبحينةَ أُمُّهُ، فهذا من الصَّحابة الذين يُنسبون لآبائهم وأمهاتهم، عبدُالله بنُ مالكٍ ابن بحينةَ، ولذلك يُنَوَّنُ.

هذا الصَّحابيُّ ذكر حادثةَ التَّرك للتَّشهُّد الأول: ((**أَنَّ النَّبِيَّ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **صَلَّى بِالصَّحَابَةِ إِحْدَى صَلاتَيِ الْعَشِيِّ: إِمَّا الظُّهْرَ أَوِ الْعَشِيِّ**))، ((**صَلاةَ الظُّهْرِ**)) كما جاء في بعض الرِّوايات جزمًا ((**فَقَامَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَسَبَّحُوْا لَهُ، فَقَامُوْا وَرَاءَهُ، قَالَ: فَلَمَّا انْتَظَرْنَا تَسْلِيْمَهُ**)) أي أنه أتمَّ الصَّلاةَ ((**سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ**)).

وفي حديث المغيرة بن شُعبةَ أنه وقع له مثلُ ذلك، ((**وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنْ قُوْمُوا**)) للمأمومين لما سبّحوا له، **هذا الجانبُ الأوَّلُ**، السُّنَّةُ التي وردَتْ في مسألتنا.

الجانبُ الثَّاني: اختلافُ العلماء في فهمها، كلُّهم اتفقوا على أنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ترك التَّشهُّدَ الأولَ، وأنه سجدَ سجدتي السَّهو؛ جبرًا لهذا النَّاقص، وأنَّ هذا الجبرَ لواجبٍ قوليٍّ وفعليٍّ؛ لأنَّ التَّشهُّدَ الأوَّلَ: **فيه قولٌ**: وهو لفظُ التَّشهُّد، **وفعلٌ**: وهو الجلوسُ للتَّشهُّد.

فصار أصلاً في أنَّ تركَ الواجبات في الصلاة قوليَّةً كانت أو فعليَّةً، يُجبَرُ بسجود السَّهو.

ثم إنَّ العلماءَ اختلفوا: قالوا: إنه تركَ هذا الواجبَ؛ لأنه دخلَ في ركنٍ، وإذا دخلَ في الرُّكن، وجب عليه إتمامُ الرُّكن؛ لأنه تعارضَ الرُّكنُ مع الواجب، والرُّكنُ آكدُ من الواجب، ومن هنا، لم يرجعْ إلى الواجب -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيهِ-؛ لأنَّ الركعةَ الثالثةَ استتمَّ فيها قائمًا، **ثم اختلفوا:**

قال بعضُهم: العبرةُ باستتمامه قائمًا؛ لأنه إذا استتمَّ قائمًا دخل في الركعة الثالثة، **وهذا هو أقوى المذاهب**: أنَّ العبرةَ بالانتصاب قائمًا.

قال بعضُــهم: بل بشــروعه في الفاتحة؛ لأنَّ فيها ركنًا قوليًّا وفعليًّا، فلا يكفي اســتتمامُه قائمًا حتى يدخلَ في الرُّكن القوليّ، وهو الشُّروعُ في الفاتحة، فإذا لم يشرعْ في الفاتحة، شُرِعَ له أن يرجعَ.

وتوسَّــعَ بعضُــهم وقال: حتى ولو لم يركعْ، يعني يجبُ عليه الرُّجوعُ إذا ســبَّحوا له ما لم يركعْ، **وهو أضعفُها**.

فالشَّــاهدُ: أنَّ هذا الإمامَ إذا كان يرى **قولَ من يقولُ**: لا بدَّ من الشُّــروع في الفاتحة، فصــلاتُه صحيحةٌ، وله عذرٌ، ويتعبَّدُ اللهَ بما ترجَّح له، وصلاةُ من وراءه صحيحةٌ.

لكن **إذا كان يعتقد** أنه إذا اســتتمَّ قائمًا أنه لا يجوزُ له الرَّجوعُ، ورجع، فإنه في هذه الحالة تبطلُ صلاتُه، **وصلاةُ من رواءه على التَّفصيل**:

بعضُ العلماء يقولُ: إنَّ فسادَ صلاة الإمام يسري إلى المأموم، وبناءً على هذا الوجه، تبطلُ صلاةُ الإمام مع المأمومين.

الشَّاهد من هذا: أنَّ رجوعَه إذا كان يتأوَّلُ **قولَ مَن يقولُ** بالجواز، فالصَّلاةُ صحيحةٌ؛ لأنَّ له وجهَهُ، ومعذورٌ شرعًا، بل مأمورٌ شرعًا أن يفعل هذا؛ لأنه يعتقدُه، بحيث قال: أنا لا أرى الوقوفَ فقط، بل أرى الشُّــروع في الفاتحة، لأنني حينئذٍ فعلاً أفهمُ أنني قد دخلْتُ في الرُّكن؛ لأنَّ الدُّخولَ في الرُّكن قولٌ وفعلٌ، وقد دخل في الفعل، فبقي القولُ.

ولكنَّ **الصَّحيحَ** أنَّ العبرةَ بالفعل، وليس بالقول، وأنه متى استتمَّ قائمًا، فإنه لا يرجعُ؛ لأنَّ الظنَّ بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أنَّ تسبيحَ الصَّحابة كان قبل أن يشرعَ بالفاتحة؛ لأنهم ما يجلسون ينتظرون حتى يقف؛ لأنَّ ما بين الوقوف والشُّروع في الفاتحة قَدْرٌ، ما بين ترك الأرض واستتمامه قائمًا وشروعه في الفاتحة وقتٌ، **فالأشبهُ** أنَّ العبرةَ باستتمامه قائمًا، وبناءً على ذلك **يُفَصَّلُ فيه**:

فإذا قال: أنا لا أعتقدُ هذا، وأعتقدُ أنه مجرَّد القيام هذا هو الذي يُحكمُ ببطلان صــلاته، فيُعيدُ الصَّلاةَ، ويعيدُها من وراءه، **وأمَّا** إذا كان متأوّلاً، فلا إشكالَ.

وأمَّا إذا كان يقولُ: ليس لي قولٌ، ولا أتأوَّلُ، فهذا جاهلٌ، وإذا ســأل الجاهلُ أفتاه المفتي بما ترجَّحَ عنده، إنْ **ترجَّحَ عنده** أنَّ مجرَّدَ القيام كافٍ، يقولُ له: أعدِ الصَّــلاةَ، **وإن كان يترجَّحُ عنده** أنه لا بدَّ من الشُّروع في الفاتحة، يقولُ له: هل شرعْتَ أو ما شرعْتَ؟ فيُفَصِّلُ.

أمَّا من حيث إطلاق الحكم فيه، فهذا تابعٌ لمن يســتفتيه، **والذي يظهرُ لي** أنَّ العبرةَ بالقيام، وأنه إذا استتمَّ قائمًا لا يرجعُ، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الثاني:

حفظَكُمُ اللهُ تعالى، هل يجوزُ أن أتركَ سنةَ المغرب؛ حتى أسبقَ وأجلسَ عند الشَّيخ؟

الجواب:

هذه المسألةُ في الحقيقة، سنةُ المغرب يجوزُ تأخيرُها إلى بعد العشاء إذا شُغِلَ الإنسانُ بعلمٍ أو بدعوةٍ.

والدَّليلُ على ذلك: ما ثبت في الصَّحيح عنه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: ((**أَنَّهُ آتَاهُ وَفْدُ بَنِي قَيْسٍ، فَانْشَغَلَ مَعَهُمْ إِلَى وَقْتِ صَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، رَأَيْتُكَ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لَمْ أَرَكَ تُصَلِّيْهِمَا قَبْلُ؟ قَالَ: هُمَا سُنَّةُ الظُّهْرِ آتَانِي وَفْدُ قَيْسٍ فَشَغَلَانِي عَنْهَا آنِفًا**))، فهو اشتغلَ بدعوتهم.

وهذا صحيحٌ **من جهة النَّظر**: أنَّ العلمَ والدَّعوةَ أفضلُ من العبادة، فالسُّننُ في مقام العبادات، وطلبُ العلم والدَّعوة في مقام العلم، والنبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- يقول: ((**إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ لَيْلَةَ التَّمَامِ**)).

فالأفضلُ أن يشتغلَ بالعلم، خاصةً إذا كان علمًا يحتاجُه، وعلمًا ضروريًّا وفرضًا عليه، فإذا انشغل به عن النَّوافل وتركَ السُّننَ، فهذا معتبرٌ شرعًا؛ لأنَّ الشَّريعةَ تجيزُه، وتدلُّ عليه، ثم بعد صلاة العشاء يقضي سنةَ المغرب والعشاء، أو بعد ما ينتهي يصلّي الراتبةَ التي تركها، وبناءً على ذلك، لا يُنكَرُ.

البعضُ يكتبُ لي في بعض الدُّروس: (يا شيخُ، انصحْ طلابَك، ما أراهم يصلّون راتبةَ الظهر)، هذا ما يُنكَرُ فيه، هذا شيءٌ تَحتمِلُه السُّنَّةُ؛ لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- تركَ السُّنّةَ لدعوةٍ، فهذا لا يُنكَرُ فيه على طلبة العلم، وهكذا لو كانَتْ فيه محاضرةٌ، وأراد شيئًا ينتفعُ به لاستقامته، وصلاح أمر دينه، فتركَ سنةَ المغرب؛ لأنه بدأ الشَّيخُ بالمحاضرة، فلا بأسَ بهذا، وأخّرها إلى ما بعد المحاضرة، أو بعد صلاة العشاء، فصلّى راتبةَ المغرب، ثم صلّى بعدها راتبة العشاء، هذا لا يُنكَرُ فيه، ولا إنكارَ فيه وليس فيه منقصةٌ على طلبة العلم، والله -تَعَالَى- أعلم.

في السُّؤالُ الأول يُلاحَظُ: أنه في بعض الأحيان قد يُبادرُ بالدُّروس، وقد يُبادرُ بالمحاضرات بعد صلاة المغرب؛ لأنَّ هذا قد يُحتاجُ إليه، بعض الأحيان الدّروس العلميّة ومسائل الأحكام في العقيدة والأحكام يحتاجُ إليها لأممٍ، لو أنَّ هذا الوقتَ الذي هو عشرُ دقائق أو سبعُ دقائق يصلّي فيه النافلةَ عُرِضَتْ فيه مسائلُ، تكون فيها مثاقيلُ الحسنات، وتنتفعُ بها أُممٌ، ونفعُها متعدٍّ، وليس بقاصرٍ، ولهذا الحقيقة المبادرةُ بها، والحرصُ على نفع الناس بها واردٌ، يعني أمرٌ يقرُّه الشَّرعُ، وله أصلٌ من الشَّرع؛ لأنَّ نفعَ العلم متعدٍّ، وليس بقاصرٍ، ونفعُ العبادة قاصرٌ على الإنسان، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الثالث:

حفظَكُمُ اللهُ تعالى، كيف أعرِفُ وقتَ النَّهي من الظُّهر في هذه الأيام؟

الجواب:

لا، في كلِّ الأيام، وله طريقةٌ واحدةٌ، الظُّهرُ يبدأ بزوال الشمس.

والأصلُ فيه: قولُه تعالى: **{أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}**(١)، ودلوكُ الشمس زوالُها.

وفي الصَّحيحينِ من حديث أبي برزةَ الأسلميّ: ((**أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْمِنْهَالِ سَيَّارُ بْنُ سَلامَةَ مَعَ ابْنِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ؟ قَالَ: كَانَ يُصَلِّي الْهَجِيرَ الَّتِي تَدْعُوْنَهَا الأُوْلَى حِيْنَ تَدْحَضُ الشَّمْسُ**))، و((**تَدْحَضُ**)) يعني تزول، و"دَحَضَ شُبْهَتَهُ": إذا أزلها، فاتفقَتِ الأحاديثُ كلُّها على أنه كان -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- يُصلّيها عند زوال الشَّمس.

الزَّوالُ: هو الحركةُ، إن شئْتَ تنصبُ عُودًا على الأرض، وتنظرُ إلى ظلّ العُود، إذا فيه حركةٌ بالنُّقصان، أو بالزّيادة، **إن كان بالنُّقصان**: فمعناه أنَّ الشَّمسَ لم تَزُلْ بعدُ، **وإذا كان بالزّيادة**: فمعناه أنّ الشَّمسَ قد زالَتْ، **وإن وقفَ**: فمعناه أنَّك في نصف النهار، إذا وقفَ ما تحرَّك، كانَتِ الشَّمسُ في كبد السَّماء، في نصف النَّهار تكونُ واقفةً، وهي السَّاعةُ التي تُسجَّرُ فيها أبوابُ جهنَّم، قال: ((**حِيْنَ يَقُوْمُ قَائِمُ الظَّهِيْرَةُ**))، ((**قَائِمُ الظَّهِيْرَةِ**)): هو الظّلّ، ((**يَقُوْمُ**)): يعني يقفُ، فالشَّمسُ تجري من المشرق إلى المغرب، قال تعالى: **{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}**(٢)، قال: **{تَجْرِي}** فنسب لها

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٢) سورة يس، آية: ٣٨.

الحركَةَ، وقال: **{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ}**(١)، فنسب لها الحركَةَ، تزاور، فهي تتحرَّكُ من المشرق إلى المغرب، حينما تتحرَّكُ من المشرق يكون الظّلُّ في المغرب، فيبدأ ينقص، وإذا صارَتْ إلى المغرب يكونُ الظِّلُّ في المشرق ويطولُ، عكس، والعكسيَّةُ هذه كثيرًا ما تأتي في المخلوقات؛ لتدلَّ على وحدانية الله -عَزَّ وَجَلَّ-، كلُّ شيءٍ له ضدُّه، وله زوجانِ: **{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(٢)، إلا الله فهو وِترٌ، الواحدُ القهَّارُ -سُبْحَانَهُ- لا ندَّ له وشريكَ له، ولا معبودَ معه، -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فالشَّمسُ إذا كانت في بداية النهار يكونُ الظّلُّ في جهة المغرب، ثم يبدأ بالتَّقاصر كلما ارتفعَتْ ينقصُ الظّلُّ: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً}**(٣)، هل سمعْتُم يومًا من الأيام أو لحظةً من اللَّحظات استطاع أحدٌ أن يوقفَ الشَّمسَ عن جريها؟ هل سمعْتُم أنَّ أحدًا استطاع ولو بقدر خردلةٍ أن يتصرَّفَ في ملكوت الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ **{لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}**(٤)، هذا كلُّه تقديرُ الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فإذا أردتَّ أن تعرفَها، تعرفُها بالسَّبر والمتابعة، إذا كان الظّلُّ في جهة المغرب، فأنت في النِّصف الأول من النهار، وإذا كان في جهة المشرق، فأنت في النِّصف الثاني من النهار، وإذا وقف الظّلُّ عن الحركة، فأنت في منتصف النهار.

فإذا وقف عن الحركة تنتظرُ إلى أن يبدأ يتحرَّك، فإذا بدأ يتحرَّك يبدأُ بالزّيادة، عكس ما كان عليه قبل الزوال، إذا رأيْتَ الظّلَّ يطولُ، فاعلَمْ أنه قد دخل وقتُ الظُّهر، إذا رأيْتَ الظّلَّ يزدادُ؛ لأنه يقفُ ثم يزدادُ، ثم بعد ذلك إذا كان قبلَ الزَّوال يُقالُ له: (**ظِلٌّ**)، وبعدَ الزوال أيضًا، لكن بعد الزوال يُقالُ له: (**فيْءٌ**)، "فَاءَ": إذا رجع، ولا يُقال لما قبلَ الزوال (**فيْءٌ**)، ما يقولُ له: (تعالَ إلى الفيء) قبل الزَّوال، وإنما يُقالُ للفيء قبل الزَّوال، فإذا كان الظّلُّ فيئًا، فحينئذٍ أنت في النصف الثاني من النهار، وحينئذٍ تصلّي وقد دخل وقتُ الظهر.

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٧.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٤٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٤٥.

(٤) سورة يس، آية: ٤٠.

فالضَّابطُ هو هذا: أن ترقبَ وقوفَ الظِّلّ، فإذا كنْتَ في أول النهار، تنتظر حتى يقفَ الظِّلُّ. وإذا وقف الظِّلُّ تنتظرُ إلى حركته، بدايةُ الحركة هي بدايةُ وقت صلاة الظهر، حين تدحضَ الشَّمسُ، **{أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}**(١)، يعني لحركتها بعد وقوفها، هذا بالنِّسبة لصلاة الظهر، والله -تعَالَى- أعلم.

السؤال الرابع:

يقول السائل: فضيلةَ الشَّيخَ: هل العمرةُ الثانيةُ وتكرارُ العمرة في سفرةٍ مثلما لو اعتمرْتُ، ثم ذهبْتُ إلى جدة، وجلسْتُ فيها شهرًا، فهل لي أن أعتمرَ عمرةً أُخرى، أثابكم الله؟

الجواب:

فقد اختلَفَ العلماءُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- في مشروعية تكرار العمرة:

وجمهور العلماء على جواز ذلك؛ وذلك لأنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- قال كما في الحديث الصَّحيح: ((**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اُجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**)) فرغَّب في تكرارها، ولم يحدَّ في ذلك حدًّا معيَّنًا.

ولأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- اعتمرَتْ معه أُمُّ المؤمنين عائشةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- في حجة الوداع كما في الصَّحيح: ((**أَنَّهَا لَمَّا حَاضَتْ بسَرِفٍ**)) وَكَانَتْ مُتَمَتِّعَةً ((**قَالَ لَهَا: ارْفُضِي عُمْرَتَكِ، ثُمَّ صَنَعَتْ مِثْلَ مَا صَنَعَ رَسُوْلُ اللهِ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، **وَقَالَ لَهَا: وَاصْنَعِي مَا يَصْنَعُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوْفِي بِالْبَيْتِ**))، فجعلها قارنةً، فقرنَتْ بين الحج والعمرة.

والدَّليلُ على أنها قارنةٌ: ما ثبت في الحديث الصَّحيح أنها قالت: ((**أَيَرْجِعُ النَّاسُ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ قَالَ: طَوَافُكِ بِالْبَيْتِ، وَسَعْيُكِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ كَافِيْكِ لِحَجّكِ وَعُمْرَتِكِ**))، فأثبتَ لها أنها اعتمرَتْ في حجة الوداع، ثم طلبَتْ أن تأخُذَ عمرةً بعد الحجة، فوقعَتْ عمرةً بعد عمرةٍ، والفاصلُ يسيرٌ، فلم يحرِّمْ عليها ذلك، ولم يمنعْها من ذلك، إنما أنكرَ عليها اعتقادَ أنها مُفردةٌ بالحج، ولم يُنكِرْ عليها طلبَ العمرة الثانية، ولذلك قال لها -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: ((**طَوَافُكِ بِالْبَيْتِ، وَسَعْيُكِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ**)).

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

وهي تقولُ: ((**أَيَرْجِعُ النَّـاسُ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ؟**)) فهي تظنُّ أنها ترجعُ بحجٍّ فقط، فالإنكارُ من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- إنما هو لاعتقاد كونها مُفردةً، وليست بقارنةٍ، فبيَّنَ لها أنها قارنةٌ، وأنها جمعَتْ بين الحج والعمرة، وقال لها: ((**كَافِيْكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ**)) فأثبتَ أنها حاجةٌ، وأثبت أنها معتمرةٌ، ثم إنه أَذِنَ لها.

والقولُ: بأنَّ هذا خاصٌّ بعائشة، تخصيصٌ بدون مخصِّصٍ، **فجمهورُ العلماء** على أنه ليس خاصًّا بعائشة؛ لأنه لو كان خاصًّا بعائشة، لقال لها كما قال للصَّحابي: (تُجزيك، ولا تجزي غيرك)، وهو يعلم أنَّ الناسَ قد يفعلون ذلك، ومع ذلك لم يُنكِرْه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-.

والجمهورُ على عدم التَّخصيص، والأصلُ أن لا يُخصَّصَ؛ لأنَّ التَّخصيصَ إبطالٌ لدلالة النّصّ، إذا قيل: (هذا خاصٌّ بفلان)، معناه أننا نمنعُ الأُمَّةَ من العمل، فلا نقولُ بالتَّخصيص الموجب للمنع من العمل إلا بدليلٍ واضحٍ بيِّنٍ، والحديثُ ليس فيه ما يدلُّ على أنه خصَّصها به، فصار دليلاً لجمهور العلماء على مشروعية العمرة وتكرارها في العام الواحد، وأنه لا بأس.

ومما أُستُئْنِسَ به في ذلك: أنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- كان يأتي قُباء كلَّ سبتٍ، وكان إتيانُه لقُباء لسببٍ، وهو أنَّ قباءَ فيه فضلُ العمرة؛ لما ثبت في الحديث الصَّحيح أنه قال: ((**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى قُبَاءَ فَصَلَّى فِيْهِ**))، والرِّوايةُ: ((**فَصَلَّى فِيْهِ**))، وروايةُ: ((**فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ**)) ضعيفةٌ.

((**فَصَلَّى فِيْهِ**)) حتى لو جاء وصلَّى الفريضةَ حاز فضيلةَ العمرة، ((**فَصَلَّى فِيْهِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ**))، فهو -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- كان يخرجُ كلَّ سبتٍ؛ من أجل أن ينالَ أجرَ العمرة؛ فدلَّ على جواز ومشروعية تكرار العمرة.

ولأنَّ الأصلَ الجوازُ حتى يدلَّ الدَّليلُ على منعه، وليس عندنا دليلٌ يقول: لا تعتمروا أكثرَ من عمرةٍ في العام الواحد، وعليه، فيجوزُ تكرارُ العمرة.

وقولُك: إنَّك تأتي إلى جدّة في شهر، يَرِدُ عليه السُّؤالُ: هل هناك فاصلٌ بين العمرة والعمرة؟

قال بعضُ العلماء: الفاصلُ أربعين يومًا على الأصل في حديث الفطرة؛ لأنه حدُّ نبات الشَّعر، وحدُّ تقليم الظُّفر، كما في حديث أنسٍ في الصَّحيح: ((**وَقَّتَ لَنَا**)) أي في إزالة الشعر والظفر ((**أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا**))، لكن هذا **ضعيفٌ**؛ لأنَّ التَّوقيتَ هنا راجعٌ إلى خصال الفطرة من ناحية الإلزام وهو على الحدّ المعتبر.

أمّا بالنّسبة للعمرة **فأقوى ما فيها** أن ينبتَ الشَّعرُ في رأسه إن كان قد حلق، وأمَّا إذا ما حلق فالأمرُ فيه واسعٌ، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال الخامس:

يقول السائل: فضيلةَ الشَّيخِ، أنا إمامُ جامعٍ في إحدى محافظات الرياض، وأُثِيرَ قبلَ فترةٍ: أنَّ هذا الجامعَ الذي أنا إمامٌ له منحرفٌ عن القِبْلَةِ ذاتَ الجنوب، فلما جاء مندوبُ الوزارة وجد الانحرافَ أقلَّ زاوية المسجد كذا الجنوبيّة قليلاً، ثم وجدتُ كلامًا لفضيلتكم في أحد شُرُوحكم: أنَّ المسجدَ إذا كان متّجهًا إلى الجهة الأصليّة فإنه لا يضرُّ، وأنَّ مذهبَ العلماء لا يُعتبرُ بالجهات الفرعيّة، وأنا الآن في حيرةٍ من أمري يا فضيلةَ الشَّيخ، آملُ أن تُفتوني في هذا الموضوع جزاكُم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

أولاً: في هذا السُّؤال أمرانِ:

الأمرُ الأوَّلُ: المساجدُ التي تتبعُ الوزارةَ، ترفعُ أمرَها إلى الوزارة، وهي تتكفَّلُ بهذا الموضوع؛ لأنها هي الجهةُ المعنيّةُ بهذا الشَّيء، وهي التي تتولّى ترتيبَ هذه الأمور، ومناطٌ بها هذا الأمر، ما دام أنه رُفع للوزارة فهي المعنيةُ به، **لكنَّ أصلَ المسألة كالآتي:**

ما شاع وذاع الآن بعد وجود البوصلات من الحرص على تحديد القِبْلَة كأنه أمامَ الكعبة مباشرةً، هذا الناسُ ليسوا مُلزمين به شرعًا، **وعلينا أن نسأل:** ما الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنةُ وفعلَه سلفُ الأُمّة والتابعون لهم بإحسانٍ؟

الذي في الكتاب: **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾**(١)، والشَّطرُ: الناحيةُ.

والذي في السُّنة: العلماءُ قرروا الآتي، قالوا: **من كان داخل المسجد الحرام**، فعليه أن يتوجّهَ إلى عين الكعبة، عليه إصابةُ عين الكعبة، تلزمُه، **من كان خارج المسجد الحرام**، فالعبرةُ بالمسجد، يستقبل المسجدَ، ولا يلزمُه استقبالُ عين الكعبة، لا يلزمُه، وهذا صحيحٌ؛ لأن النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- كما في الصَّحيحين من حديث أبي جُحيفة وهب بن عبدالله السُّوائي في صفة صلاته بعد نهايته من

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠.

حجة الوداع، نزل بالمحصِّب، والمحصِّب طبعًا هذا قبل قبور المعلاة، كان -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- في المحصِّب، والمحصِّب داخل حدود الحرم، ومنى داخل حدود الحرم، فصلّى-عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- في الخيف ؛ لأنَّ ما كان فيه مسجد، فمعه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- المئة ألفٍ ووراءه الصفُّ الطَّويلُ في منى وفي عرفة، فمستحيلٌ أن يستقبلَ بهم عينَ الكعبة؛ لأنه لو كان في استقبال عين الكعبة، لا يتأتى إلا بحدٍّ محدودٍ حتى يصيبَ الجهةَ نفسَها، تصيبَ عينَ الكعبة، فلما أطلقَ لهم -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- ، ولم يحدَّ فيه حدًّا محدودًا، نصَّ العلماءُ والأئمةُ على أنَّ العبرةَ بالجهة، وأنه إذا كانت قبلتي في المغرب، فأنا أستقبلُ المغربَ كاملاً، حتى أنتقلَ من المغرب إلى الجهة الأصليّة من اليمين واليسار، التي هي الشّمال والجنوب، فإذا انحرف من الغرب إلى الشّمال المحض، أو من الغرب إلى الجنوب المحض، فقد خرج عن الاستقبال.

أمَّا ما دام في نفس هذا المنحصر بين الاثنينِ فهو في قِبْلَةٍ.

وهذا صريحُ قولِه في حديث أبي أيوب في الصَّحيح قال: **((لا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ))** يخاطبُ أهلَ المدينة **((وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا))**، **((لا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا))**؛ فدلَّ على أنه إذا انتقل إلى الجهة الأصليّة ذات اليمين أو الجهة الأصليّة ذات الشّمال، أنه حينئذٍ ينحرفُ عن القِبْلَة.

أمَّا ما دام مستقبلاً للقِبْلَة التي أمام وجهه، فإنه يكفيه هذا.

بناءً على ذلك، الآن لما يأتون ويضعون البوصلةَ، ويجدونه منحرفًا قليلاً عن اليمين، أو منحرفًا قليلاً عن الشِّمال، أخذوا الصفوفَ وقطّعوها، ثم شتلوا المسجدَ، وتقطّعت الصفوفُ بالسّواري، وهذا نجده ورأيناه في مكة وفي المدينة وفي جدّة، خاصة بعد وجود هذه الآلات.

نحن نحمدُ الله على وجود هذه الآلات، لكن ما اللهُ كلّفنا بهذا الشّيء، الدّينُ يُسرٌ، والحمدُ لله، ما دمتَ الآن تصلّي جهة المغرب، والحجازُ في غربيك، وتصلّي جهة المغرب، فصلاتُك صحيحةٌ؛ لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- جعلَك بين الجهتينِ التي عن يمينك وعن يسارك، **((وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا))**؛ فدلَّ على أنه ينتقلُ من القِبْلَة بالشرق المحض وبالغرب المحض، وهذا في أهل المدينة، لأنَّ القِبْلَة عندهم جنوبيّةٌ، وقال: **((مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ))** في حديث السُّنن.

وبناءً على ذلك، إذا كان المصلّي لم ينحرِفْ إلى جهة ذات اليمين، ولم ينحرِفْ إلى جهة ذات اليسار، فصلاتُه وصلاةُ من معه صحيحةٌ.

فلا داعي لهذا التَّشـويش، وتشـكيك النَّاس في مسـاجدهم وفي صـلاتهم، الحمدُ لله، الدِّينُ يُسـرٌ، ولم يلزمْنا اللهُ بهذا العنت.

ولذلك كان النبيُّ -صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَـلَّمَ- معه مئةُ ألفٍ في حجة الوداع، هؤلاء المئة ألفٍ كيف يصـلون؟ لا بدَّ من الصُّـفوف الطَّويلة، وهذا الذي جعل العلماءَ يقولون: مَن كان خارج مكة، فعليه بجهة مكة، ولم يقولوا بجهة الكعبة، فيجعل مكةَ هي قِبْلته، فإذا اتجه إلى مكة، مكة أين؟ في المشـرق، استقبل المشـرق، في المغرب، اسـتقبل المغرب، في الشَّـمال في الجنوب على حسـب الجهة، لا يُحكمُ ببطلان الاستقبال إلا إذا انتقل ذاتَ اليمين أو ذاتَ اليسار من الجهة الأصليّة للقِبْلَة.

وهذا كلُّه من يسر الله وتوسعة الله -عَزَّ وَجَلَّ- على عباده، والعبرةُ بما ذكرناه:

أنه إذا كان **داخل المسجد**: يستقبل عينَ الكعبة، وإذا كان **داخل مكة**: يستقبل المسجدَ، وإذا كان **خارج مكة**: فمكةُ هي قِبْلَتُه، وينظر إلى جهتها، على التَّفصيل الذي ذكرناه، والله -تَعَالَى- أعلم.

السؤال السادس:

يقول السائل: فضيلةَ الشَّيخ، قد أظلّنا شهرُ شعبان، فلو تحدَّثْتم أثابكُمُ اللهُ عن فضيلة الصِّيام فيه، وعن الحكمة من صيامه، وهل يُشرَعُ صيامُه كلُّه، جزاكُم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

نسأل الله بعزّته وجلاله وعظمته وكماله أن يباركَ لنا في الشُّهور كلِّها، وأن يبلِّغَنا صيامَ رمضانَ وقيامَه بعفوه وعافيته، ووردَتِ السُّنَّةُ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- باستحباب الصّوم في شعبان، حتى إنه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- ما رُئي أكثرَ صومًا من شعبان.

وهذا راجعٌ إلى حكمةٍ ذكرها العلماءُ: وهي أنَّ الإنسـانَ إذا صـام قبل رمضـان، قَوِيَ على صـيام رمضـان، فيدخلُ عليه رمضـانُ وهو معتادٌ للصوم فلا يرهقُه، ولذلك تجدُ مَن يصـومُ في شعبان أيامًا، خاصةً قبل دخول رمضـان، ثم يدخلُ عليه رمضـانُ لا يتعبُ، بخلاف الذي يتركُ هذه السُّنَّةَ، فإنه في أول يومٍ يجدُ الجهدَ الجهيدَ، وقد لا يسـتقيمُ له الصَّـومُ إلا بعد اليوم الخامس أو السَّـادس، فخلال الخمسة الأيام قد يضعفُ، وقد يمرضُ، وإذا ضعُفَ خلاله ضيَّعَ بعضَ السُّنن، وضيَّعَ بعضَ الطَّاعات، أو قصَّـر فيها، فلما يقعُ هذا التَّقصـيرُ في غير رمضـان أفضـلُ من أن يقعَ في رمضـان، ومن هنا، يستحبُّ الإكثارُ من صوم شعبان.

وظاهرُ السُّنَّةِ مبنيٌّ على هذا، إلا أنه نُهِيَ عن صومٍ يوم الشَّكِّ، وهو المستثنى، أنه لا يصومُ اليومَ الذي يُشَكُّ فيه وهو يومُ الثلاثين، ((**وَمَنْ صامَ اليومَ الذي يُشَكُّ فيه، فقدْ عَصَى أبا القاسِمِ** -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-))

أمَّا بالنِّسبة لورود النَّهي في حديث العلاء من بعد منتصف شعبان، فهذا مبنيٌّ على ما ذكره العلماءُ أن يكونَ في ناسٍ دون ناسٍ، أنَّ الإكثارَ من الصوم بعد منتصف شعبان لمن يضعفُه الصَّومُ لا ينبغي، **يعني عندنا أمرانِ: عندنا** ترويضُ النَّفس، **وعندنا** أن لا يصلَ إلى حدّ الإضرار بالفريضة؛ لأنه ليس من المعقول أن تشتغلَ بنافلةٍ، وتضيع الفرض، فالسُّنَّةُ جاءَتْ إذا حملْتَ كلَّ وجهٍ منها على وجهٍ، وأحوالُ الناس لها أوجهٌ، استقام، فحينئذٍ لا تعارضَ بين حديث العلاء بن عبدالرحمن في النَّهي بعد منتصف شعبان، وبين الأحاديث التي وردَتْ في صومه -عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، والإكثارُ من صوم شهر شعبان؛ لأنَّ **الأوَّلَ** مبنيٌّ على ترويض العبادة، **والثاني** على مَن يُضعفُه ذلك ويُنهكُه، أو على من يُبالغُ فيه.

ويستثنى: صومُ يوم الشَّكّ بنيّة أنه من رمضان، أمَّا لو كان يصومُ الشَّكَّ قضاءً، فإنه لا حرجَ، ولذلك قال -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: ((**لا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلاً كَانَ يَصُوْمُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ**))، كما لو كان من عادته أن يصومَ يومَ الاثنين والخميس، فوافق يومُ الشَّكّ يومَ الاثنين أو الخميس ونحو ذلك.

فالمقصودُ من هذا: أنَّ السُّنّةَ الإكثارُ من الصَّوم على سبيل التَّقوّي، فإن كان يضعفُه أُخِذَ بالحديث الذي فيه تقديمُ الفرض على النافلة.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ وباركَ على نبيّنا محمَّدٍ.

رقم الدرس	١٢
تاريخه	الجمعة المغرب ١٨-١٠-١٤٣٢هـ

السؤال الأول:

يقولُ السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخِ، اقترضَ شخصٌ مبلغًا ماليًّا من بعض الأشخاص، ومرَّتْ مُدَّةٌ طويلةٌ من الزَّمن، ولم يَذكُرْ حتى المبلغَ الذي اقترضَه بالتَّحديد، ولا يعرِفُ عنوانَ أصحاب المال، فما العملُ؟ وما الحكمُ في ذلك، جزاكُمُ اللهُ خيرًا؟

الجواب:

باسمِ اللهِ، والحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللهَ -تَعَالَى- أمرَ المؤمنين أن يكتبوا ما بينهم من الحقوق.

وأكَّدَتْ هذا: السُّنَّةُ الصَّحيحةُ عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-.

فقال -جَلَّ ذِكْرُهُ-: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}**[١]، فأمرَ -سُبْحَانَهُ- بكتابة الحقوق، والإشهاد عليها؛ صيانةً من الضياع.

والسُّنَّةُ أكَّدَتْ هذا: في حديث عبدالله بن عمر في الصَّحيح عنه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنه قال: يقول النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: ((**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيْتُ لَيْلَتَيْنِ، وَلَهُ شَيْءٌ يُرِيْدُ أَنْ يُوْصِيَ بِهِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوْبَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ**)).

أخي في الله، إذا أخذْتَ حقوقَ الناس فاحفظْها، واكتبْ على نفسك ما أخذْتَ، وأَشْهِدْ عليها؛ فإنك لا تأمَنُ مثلَ هذه الأمور الطارئة، ولذلك نبَّهَ العلماءُ على أنَّ تركَ السُّنَّة يعودُ بالبلاء على صاحبه، فأنت تركْتَ السُّنَّةَ -أَصْلَحَكَ اللهُ-، وكان المنبغي أن تكتبَ الذي عليك والذي لك، ولذلك، أنت مسؤولٌ أمام الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن التَّفريط في حقوق الناس بهذه الطَّريقة، لا يجوزُ لمسلمٍ أن يبيتَ وعليه دينٌ إلا ويكتبُ دينَه عند رأسه: (لفلانٍ ابن فلانٍ عليَّ مبلغٌ، وقدرُه كذا وكذا)، ويكتبُ عنوانَ الشَّخص، ويكتبُ ما يُعرَفُ به؛ لأنَّ هذا هو الذي ينجيه من حقوق الناس، ومن تبعاتها، وهو أَمْرُ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، بين -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: ((**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**))، أي ليس من حقه ((**أَنْ يَبِيْتَ**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

لَيْلَتَيْنِ، وَلَهُ شَيْءٌ يُرِيْدُ أَنْ يُوْصِيَ بِهِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوْبَةٌ))، ((**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**)): أي أنه إذا أسلم لله، وأطاع أمره، عليه أن يحفظَ حقوقَ المسلمين.

وقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: ((**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيْدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيْدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**))، فتعاطي أسبابِ الإهمال، هذا أمرٌ عظيمٌ.

الأمرُ الثاني: أنه ينبغي عليك السُّؤالُ، والتَّحرّي، وبذلُ كلِّ الأسباب لمعرفة صاحب الدَّين، وسؤاله إذا وجدتَّه تسألُه: كم دينُك؟ فإذا لم تعثُرْ عليه، قدَّرْتَ بغالب الظَّنِّ، وكتبْتَ ما حصل ووقع، وتركْتَ الأمرَ إلى مَن توصيه مِن بعدك، فتكتبُ في وصيّتك: أنَّ هناك شخصًا أخذْتُ منه دينًا، وتكتبُ الشَّيءَ الذي وقع، إذا كان هذا الشَّخصُ زميلاً لك في العمل، تقول: (في عملي)، إذا كان زميلاً لك في دراستك تبيِّنُ، إذا كان زميلاً لك في السوق تبيِّنُ، إذا كان شخصًا بينك وبينه، تُعطي أيَّ وصفٍ يدلُّ عليه؛ لأنه كما أنَّ الأشياءَ تضيعُ هكذا، فكذلك يمكن أن يُعثرَ عليها يومًا من الأيام.

ولذلك قال -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- في حديث اللُّقَطة: ((**فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ يَسْأَلُهَا**))، يعني لا تأمَنُ أن يأتيَ يومًا من الأيام من يقول: (أبوك أو أخوك أو عمُّك تعاملْتُ معه في كذا وكذا).

فلذلك أُوصيك أن تكتبَ ما جرى على حقيقته، ثم إذا لم يتيسَّرْ معرفةُ هذا الشَّخص، تُقَدِّرُ هذا المال، وتتصدَّقُ بقدر هذا المال **في قول طائفةٍ**.

والقولُ بأنه يتصدَّقُ بقدر المال **مبنيٌّ على مسألةٍ، حاصلُها**: أنه إذا كان يوم القيامة قبل دخول الجنَّة في الظُّلمة المعروفة يقتصُّ من المسلمين بعضِهم من بعضٍ من أهل الجنة، فيُقتصُّ منهم في الحقوق، ومن ذلك قالوا كما بيَّنَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: ((**مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ أَخِيْهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيُحَلَّهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَكُوْنَ لَا دِيْنَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ**))، ثم بيَّنَ: ((**مِنْ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُوْنَ لَا دِيْنَارٌ وَدِرْهَمٌ، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ عَلَى قَدْرِ مَظْلَمَتِهِ**))، فقال العلماء: ما دام أنه يُؤخَذُ من الحسنات على قدر مظلماته، فتصدّق بالمال كلّه حتى تكونَ حسناتُه وفاءً لحقه، **هذا وجهُ قولِ بعضِ العلماء أنه يُتصدَقُ بالمبلغ على نِيَّةِ صاحبه.**

أما المسألةُ الأخيرةُ: لماذا نقولُ بالتَّقدير؟ التَّقديرُ يُرجَعُ إليه عند تعذُّرِ الجزم، والشَّريعةُ تعتبرُ هذا، ولذلك أجاز الشَّرعُ الخرصَ في النَّخيل لتعذُّر الجزم.

ومن هنا، هذا التَّقديرُ يبني فيه الإنسـانُ على غالب ظنّه، نقول له: هذا الدَّينُ هل هو ألف رِيالٍ؟ يقول: ألفٌ كثيرٌ، فنقول: خمســمائة؟ فيقول: خمســمائة قليلٌ، فنقول: ادفعْ ما بين الألف وما بين الخمســمائة، سبعمائة وخمسين، فهذا فصلُ ما بين القليل وما بين الكثير.

نسأل الله بعزّته وجلاله وعظمته وكماله أن يرزقَنا العلمَ النَّافعَ، والعملَ الصَّالحَ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ.

رقم الدرس	١٥
تاريخه	الجمعة المغرب ٤-٣-١٤٣٣هـ

السؤال الأول:

يقولُ السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخِ، أثابَكُم اللهُ تعالى، في بعض الأحيان عندما أنتبِهُ من النَّوم أشعرُ ببعض البللِ في ثيابي، ولا أجدُ لونًا لذلك، فهل يكونُ هذا مَذْيٌ؟ وهل النَّائمُ يُنزِلُ المذيَّ جزاكُمُ اللهُ خيرًا؟

الجواب:

باسمِ اللهِ، الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمَّا بعدُ:

فهذه المسائلُ يَنْتَبِهُ لها طلبةُ العلم، المسائلُ الْمُجمَلة غيرُ الواضحة، يُرَدُّ السَّائلُ فيها إلى الأصل، لا تجزمُ بحكمٍ فيها، ما تستطيعُ تقولُ: نعم، هذا ليس بمنيّ، ولا تستطيعُ أن تقولَ: نعم هذا مذيٌ، وإنما تقولُ الأصلَ، تقولُ: يجبُ على السَّائل أن ينظرَ في صفات هذا الماء الخارج، فإن كان لا يجدُ فيه الثَّخانةَ، مثل ما ذكرنا فليشمَّ؛ لأنَّ المنيَّ يميَّزُ برائحته، وبعضُ الناس قد يكون منيُّه خفيفًا، ولكنَّ رائحتَه تدلُّ عليه، فما نستطيعُ أن نقولَ: أن هذا منيٌّ أو مذيٌ، ولكن نقولُ: ارجعْ إلى صفات المنيّ، فإن وجدتَّ صفاتَ المنيّ:

المنيُّ بالنِّسبة للرَّجل: ماءٌ أبيضُ ثخينٌ، رائحتُه كرائحة العجين، أو كرائحة شمّ الطَّلع، أو كرائحة البيض الفاسد، هذه كلُّها ذكرها العلماءُ يُعرَفُ بها المنيُّ برائحته.

وأيضًا المنيُّ ثخينٌ، بحيث إذا يبسَ يمكنُ حكُّه، لكنَّ هذا الصِّفةَ ذُكِرَ أنَّه بعض الأحيان يكون بعضُ الناس يكون منيُّه خفيفًا، لكن يختلفُ عن المذي من ناحية الثَّخانة.

وثالثًا: أنَّ المنيَّ يخرجُ بكثرةٍ، ولذلك يختلفُ عن المذي الذي يخرجُ قطراتٍ.

وأمَّا قولُك: إنَّ النَّائمَ هل يمذي؟ نعم يمذي، وقد يكثرُ منه المذيُ، ولا يمنعُ هذا أنه إذا استمرَّ نومُه لساعاتٍ أن يكثرَ مذيُه حتى يشتبهَ بالمنيّ، لا يبعدُ هذا.

وأيًّا ما كان، من حيث الأصل أن ترجعَ إلى صفات المني، فإن وجدتَّها حكمْتَ به، وإن لا فلا؛ لأنَّ عند العلماء أصلاً: أنك إذا شككْتَ وما أمكنَ التَّمييزُ، ولا أمكنَ الفصلُ: هل هو مذيٌ، فيجب عليك الوضوءُ وهو نجسٌ، أو أنه منيٌّ، فيجبُ عليك الغسلُ؟ **تقولُ**: هو مذيٌ، حتى تتأكَّدَ أنه منيٌّ؛ لأنه اليقينُ، والله تعالى أعلم.

السؤال الثاني:

قال السَّائلُ جزاه الله خيرًا: فضيلةَ الشَّيخِ، نحبُّكم في الله، أول يوم من رمضان وصلْتُ إلى بلدٍ عربيٍّ، ووجدتُّ أنهم لم يصوموا، وبقيْتُ عندهم ساعاتٍ حتى غربَتِ الشَّمسُ، ثم كمَّلْتُ الرِّحلةَ للبلد، وكان موافقًا لنا في الرُّؤية، فما حكمُ صومي؟

الجواب:

الأصلُ في المسافر أنه يعتدُّ بالبلد الذي هو فيه، فإن كان قد خرج من بلدٍ سابقٍ إلى بلدٍ لاحقٍ، اعتدَّ بالبلد اللاحق، **والعكسُ أيضًا**، ولا إشكالَ في أنه لو أصبح مجموعُ ما صامه تسعًا وعشرين يومًا، لا إشكالَ، نحكمُ بكونه قد أتمَّ ما أوجب عليه؛ لأنَّ الشَّهرَ يكون تسعًا وعشرين، ويكون ثلاثين.

فلو أنه صام في بلدٍ بدايةُ الشَّهر عنده بالأحد، وسافر إلى بلدٍ بدايةُ الشَّهر بالاثنين، ووصل إلى هذا البلد، فتمَّ صيامُه تسعًا وعشرين يومًا، وكان البلدُ الذي سافر منه أتمَّ الثلاثين، أجزأَتْهُ التِّسعةُ والعشرون، وجاز له أن يفطرَ في البلد الذي قَدِمَ إليه، مع أنَّ البلدَ الذي وجبَ عليه الصَّومُ يتمُّون إلى الثَّلاثين.

فإذًا العبرةُ بالبلد الذي هو فيه؛ لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمرَ الصَّائمَ أن يُفطرَ مع الناس، وأن يصومَ بصوم الناس، فقال: ((**فِطْرُكُمْ يَوْمَ تُفْطِرُونَ، وَصَوْمُكُمْ يَوْمَ تَصُومُونَ**)).

وأمَّا إذا كان العددُ ينقصُ عن تسعٍ وعشرين، بحيث تمحَّضَ له ثمانٌ وعشرون يومًا، **فاختَلَفَ العلماءُ على قولين**: هل نلزمُه بيومين، أو نلزمُه بيومٍ واحدٍ؟

والأحوطَ أن يصومَ اليومين؛ بناءً على أنّ اليقينَ في الشهر أنه ثلاثون يومًا على الأصل، والتسعة والعشرون تثبتُ بالرُّؤية، وهذا لم تثبُتْ به على وجهٍ معتبرٍ، فيرجع إلى اليقين، هذا الذي فيه خلافٌ بين العلماء -رَحِمَهُمُ اللهُ- أنه إذا أصبح مجموعُ صومه ثمانيةً وعشرين يومًا، هل يُلزَمُ بقضاء يوم، أو يومين؟ **فالأقوى** أنه يصومُ يومين، ولا يصومُ يومًا واحدًا، واللهُ تعالى أعلم.

السُّؤال الثَّالث:

يقول السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخِ، أنا شابٌّ أعملُ مندوبًا في إحدى الشَّركات، فكنْتُ ألتزمُ بوقت الدَّوام، ولكني كنْتُ أُوصِلُ المشتريات إلى الشَّركة، وأذهبُ إلى المنزل قبل انتهاء الدوام، فأنا اليومَ تائبٌ لوجه الله، فهل يجبُ عليَّ كفارةٌ في الوقت الذي كنْتُ أذهبُ فيه إلى المنزلِ من غير علمِ المديرِ، ويعلم اللهُ أنَّ هذا الأمرَ يُؤرِّقُني جزاكُم اللهُ خيرًا؟

الجواب:

أولاً: نقولُ للسَّائل ولكم جميعًا: نشهدُ اللهَ جميعًا على حبِّكم فيه، ونقول للسَّائل: أحبَكُم اللهُ الذي أحبْبتَنا فيه.

وبالنِّسبة لهذا السُّؤال: أخي في الله، احمَدِ اللهَ أنَّ اللهَ رزقك التَّوبةَ، ورزقك النَّدمَ قبل أن تخرجَ من هذه الدُّنيا، وإنَّ من نِعَم الله على العبد أن يتفقَّدَ نفسَه في حقوق العباد، وحقُّ الله أوجبُ، فيبدأُ بحقِّ الله، ثم بحقوق العباد، لكنَّ حقوقَ العباد لَمَّا كانت مبنيّةً على الْمُشاحة والْمُقاصة، فإنَّ من نِعَم الله على العبد أنه يُضيِّقُ على نفسه، ويحاسبُ نفسَه حسابًا شديدًا في حقوق العباد، فما عَلِمَ من مظلمةٍ لأحدٍ إلا وسأله أن يبيحَه منها، أو يردَّ إليه مظلمتَه على الوجه الذي يُنصِفُه فيه من نفسه.

وهذا شأنُ الموفق السَّعيد المرحوم برحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأنَّ هذا من دلائل رحمة الله للعبد، وقد وصانا النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهذه الوصيّة، فقال: ((**مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ أَخِيْهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَكُوْنَ دِيْنَارٌ وَلا دِرْهَمٌ**)).

وهذا هو شأنُ المؤمن الصادق في إيمانه أنه يخافُ اللهَ، ويخافُ الدَّارَ الآخرةَ، ويخافُ عذابَ الآخرة، كما وصف اللهُ السُّعداءَ في كتابه: أنهم يخافون من الآخرة وحسابها، وما قصَّ اللهُ علينا أهوالَ الآخرة وشدائدَها إلا لكي نرتدعَ عن حمل المظالم وتحمُّلها، فذكر القارعةَ، وذكر الآزفةَ، وسمَّى الآخرةَ بأسماء، وذكرَ مشاهدَها التي يقتصُّ فيها العبادُ من بعضهم.

فالموفَّقُ من رزقه اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- التَّحلُّلَ من المظالم، فهذه نِعمةٌ من الله أنَّ اللهَ رزقَك النَّدمَ.

الأمرُ الثاني: **كيفيةُ التَّحلُّل**، ما دام الحقُّ لِمَخلوقٍ لا تكفي فيه التَّوبةُ بين العبد وربّه، بل لا بدَّ أن يذهبَ لصاحب الحقِّ، ثم يُنظَرُ في هذا الشَّركة: فإن كان المديرُ الذي نصَّبَهُ صاحبُ الشَّركة عنده

صلاحيةٌ أن يسامحَك، وأن يُبِيحَك من التَّقصير الذي قصَّرْتَهُ، فلا إشكالَ تذهبُ إليه، وتسألُه العفوَ فإذا عفا عنك فالحمدُ لله، وإذا ما عفا عنك ترجعُ إلى الأصل، وهو صاحبُ الشَّركة، وتسألُه أن يعفوَ عنك.

وأمَّا إذا كان المديرُ لا صلاحيةً عنده، مسؤولٌ عن سير العمل، ومطلوبٌ منه أن يسيرَ العملَ على وِفْقَ نظام العمل، فحينئذٍ تذهبُ إلى صاحب العمل مباشرةً، أو تكتبُ له رسالةً، تبذلُ كلَّ ما تستطيعُ للوصول إلى صاحب الحقّ، وتخيِّرُه بين أن تَرُدَّ له، فتبني على غلبة ظنِّك بالتَّقصير الذي قصَّرْتَهُ، وتحسبُ ما عليك، فإن عفا عنك فالحمدُ لله، وإذا لم يعفُ عنك تعطيه حقَّه، وتقدِّرُ له حقَّه، وتردَّ له مظلمتَه، هذا هو الواجبُ عليك.

ولا يستطيعُ المفتي أن يحدِّدَ لك مبلغًا معيَّنًا أو قدرًا معيَّنًا؛ لأنَّ هذا يختلفُ بحسب اختلاف المظالم، فإذا سألْتَ صاحبَ المظلمة، فهو صاحبُ الحقِّ، وهذا هو الذي تَحرصُ عليه، وبإذن الله -عَزَّ وَجَلَّ- إذا فعلْتَ ذلك برئَتْ ذمَّتُك، وسلِمَتْ.

ونسأل الله بعزته وجلاله أن يسلِّمَنا، ويسلِّمَ منا ويتجاوزَ عنَّا؛ إنه سميعٌ مجيبٌ، اللهم تحمَّلْ عنا مظالمَ خلقك، وأعنَّا أن نخرجَ من هذه الدُّنيا على الوجه الذي يرضيك عنا، والله تعالى أعلم.

السؤال الرابع:

قال السَّائلُ: فضيلةَ الشَّيخِ، أنا مقبلٌ على زواجٍ، فأوصني جزاكَ اللهُ خيرَ الجزاء؟

الجواب:

ما شاءَ اللهُ، تباركَ اللهُ، إيش أُوصيك؟ هذا لو نجلس إلى الفجر ما ننتهي، لكنَّ خيرَ الكلام ما قلَّ ودلَّ، ولا أظنُّ أنَّ أحدًا وفَّقه اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وأكرمَه، بل أراد اللهُ أن يسعدَه في الدُّنيا والآخرة، لا أظنُّ أنَّ أحدًا أكرمه الله بهذه الكرامة يجد شيئًا أعظمَ من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ليست هناك وصيَّةٌ أعظمَ من أن تقرأَ كتابَ ربِّك، وتتأمَّلَ هذا القرآنَ الذي فَصَّلَ اللهُ فيه كلَّ شيءٍ تفصيلاً: **{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}**(١)، فكيف إذا كان هذا التَّفصيلُ من ملك الملوك؟! وكيف إذا كان هذا التَّفصيلُ لا كذبَ فيه، ولا شكَّ فيه، ولا ريبَ فيه؟! وكيف إذا كان هذا التَّفصيلُ يأتيك بأصدق الحديث؟! وكيف إذا كان هذا

(١) سورة الإسراء، آية: ١٢.

التَّفصيلُ يأتيك بأصدق القِيل؟! وكيف إذا جاءك هذا التَّفصيلُ بكلامٍ ليس هناك كلامٌ أجملَ ولا أكملَ ولا أفضلَ منه؟!

وصدقَ رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**إنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**)).

أيُّ سعادةٍ للعبد أعظمَ من أن يشرحَ اللهُ صدرَه للقرآن؟! فلا يأخذُ شيئًا في هذه الدُّنيا، ولا يتركُ شيئًا إلا والقرآن نصبَ عينيه؛ لكي يأخذَ بالقرآن، ويتركَ بالقرآن.

بيَّنَ اللهُ في كتابه حقوقَ الخلق، وفصَّلها، وحَذَّر من حرامِها وتجاوزِ حدودها، وتلك حدودُ الله بيَّنَها لقومٍ يعلمون، وبيَّنَها لقومٍ يتقون، وبيَّنَها لقومٍ يعقلون، فهذه الآياتُ والعِظاتُ البالغاتُ تقفُ أمامَها موقفَ المتدبّر المتأمّل المتبصّر، وكأنَّ لسانَ حالك يقول: ربِّ بمَ تأمرني حتى أفعل؟ ربِّ عن أيِّ شيءٍ تنهاني حتى أتركُ؟

لقد بيَّنَ الله حقوقَ الزَّوج، والزَّوجة، وحقوقَ النِّكاح، وبيَّنَ أنه ميثاقٌ غليظٌ: **{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً}**(١)، فنَبَّهَ العبادَ أنَّ الزَّواجَ والنِّكاحَ ميثاقٌ غليظٌ.

وجاء عن بعض أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّ هذا الميثاقَ الغليظَ فسَّره العلماءُ والأئمةُ بقولهم: الإمساكُ بالمعروف، والتَّسريحُ بإحسانٍ.

ثم بيَّنَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جميعَ ما يتعلَّقُ بالنِّكاح حتى السَّرائر والضَّمائر، وما زال كتابُ ربِّك مع الزَّوج من بداية زواجه وهو يريدُ أن ينكحَ، ويريدُ أن يتزوَّجَ، ذكَّره أنَّ الدُّنيا فانيةٌ، وأنَّ الآخرةَ باقيةٌ، وأنه على مفترق طُرقٍ، فإن نكح المرأةَ يريدُ أن يبنيَ بيتًا مسلمًا، يريدُ أن يقيمَ أسرةً مسلمةً تذكرُ اللهَ، يكثِّرُ بها سوادَ أُمَّةِ نبي الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كتب أجرَه، وعظم ثوابَه، وإنما الأعمالُ بالنِّيَّات.

وإن كان يريدُ من نكاحه متعةً زائلةً، وشهوةً فانيةً، فسيتمتع، وكم تمتَّعَ قبلَه أقوامٌ، وسيلهو، وسيصيبُ شهوتَه، ويبلغُ نهمتَه، ولكنه يخرجُ من الآخرة -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- صفرَ اليدينِ، وقال تعالى: **{وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُورًا}**(٢)، **{مَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ}** أول ما تضعُ قدمَك في بيت الزوجية، قبلَ أن تعقدَ، وقبلَ أن تفعلَ شيئًا، تخلصُ لوجه الله وتقولُ لنفسك وغدًا

---

(١) سورة النساء، آية: ٢١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٩.

أول ما تدخلُ على زوجك أن تقولَ لها: يا أَمَةَ الله، إمَّا أن نبنيَ بيتًا لله، وإمَّا أن نبنيَ بيتًا لأنفسنا، فإذا أردتِّ أن نبنيَ بيتًا لله طابَ السَّعيُ، وشُكِرَ العملُ، ولن يضيعَ اللهُ أجرَ من أحسن عملاً، وإن أردتِّ أن نبنيَه للمتعة واللَّذة، فلذةُ ساعةٍ، وخرابُ دهرٍ؛ لأنَّ اللَّذاتِ تنقضي، والشَّهواتِ تنتهي، ولكنَّ المعاملةَ مع الله لا تبورُ، والتِّجارةَ مع الله لا تخسرُ.

الأمرُ الثاني: أن تسألَ: ما هو هديُ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في زواجه ونكاحه؟ تختارُ كيف تختارُ؟ ثم إذا اخترْتَ، كيف تنكحُ المرأةَ؟ كيف تخطِبُها؟ كيف تنظُرُ إليها؟ تتبعُ السُّنَّةَ وتتحرّاها، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((**أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا**))، وقال لجابرٍ: ((**انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا**)).

تتبعُ هذه السُّنَّةَ الكريمة، أيُّ شيءٍ تفعلُه في نكاحك تسأل: ما الذي أمر به النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ وما الذي فعله؟

فإذا أقمْتَ الخِطبةَ وطلبْتَ المرأةَ بالسُّنَّة واتباع هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإذا خطبْتَها بالسُّنَّة، وإذا أقمْتَ نكاحَها بالسُّنَّة، وإذا دخلْتَ عليه بالسُّنَّة، وإذا عاملْتَها بالسُّنَّة، وإذا عشْتَ معها بالسُّنَّة، وإذا أنجبَتْ لك الأولادَ، وأقمْتَ البيتَ كلَّه بالسُّنَّة، بالسُّنَّة، فأنت في مثاقيل الحسنات التي لا يعلمها إلا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، وأنت في الهُدى، وأنت في الرَّحمة، وعدٌ من الله أنه ما اتبعَ أحدٌ نبيَّهُ إلا هداه: **{وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**(١)، فمن اتبع السُّنَّةَ في نكاحه من أول نكاحه إلى آخر لحظةٍ فهو يتخوَّضُ في هداية الله، ويتخوَّضُ في رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ثم عليك بهذه السُّنَّة في جميع شؤونك، السُّنَّةُ تنقسمُ إلى قسمين إذا عملْتَ بها: حسنٌ، وأحسنُ. **فهناك أمورٌ** ندبَتْكَ السُّنَّةُ إليها، ولم تفرضْها عليك، **وهناك أمورٌ** أوجبَتْهَا عليك.

فما أوجب اللهُ عليك: تبدأُ به من سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهديه في معاملة النِّساء وبيت الزَّوجية.

والأمرُ المستحبُّ: هذا هو الذي يتنافسُ فيه المتنافسون، ويتسابقُ إليه المتسابقون، ذلك القلبُ الرحيمُ والزَّوجُ الكريمُ الذي يدخلُ على بيت الزَّوجية أكرمَ ما يكونُ زوجٌ لزوجه؛ لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في صفاته زوجًا وبعلاً -بِأَبِي وَأُمِّي- بلغ أعلى درجات الكمال -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، لن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

تجد زوجًا أكرمَ من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا يحتاجُ منك أسبابًا، أنت حينما تأتي إلى قومٍ تتزوَّجُ منهم تتذكَّرُ قولَ الله -عَزَّ وَجَلَّ-: **{وَلا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}**(١)، أناسٌ أدخلوك على عورتهم، أناسٌ رضوا بك أن تدخلَ بينهم كواحدٍ منهم، أناسٌ قالوا لك: مرحبًا، نعطيك عورةً من عوراتنا، نعطيك بنتًا من فلذات أكبادنا، لَمَّا تدخلُ على قومٍ، وتراهم أكرموك هذه الكرامة، تنسى معها كلَّ خطأٍ، وتتجاوزُ عن كثيرٍ من الأشياء، جمع اللهُ هذه المكرمة في قوله: **{وَلا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}**، هذا بعد الطَّلاق، فكيف إذا كان الإنسانُ معاشرًا؟! إذا كان لا ينسى الفضلَ وهو مطلِّقٌ، قالوا لرجلٍ: ما عيوبُ زوجتك؟ إيش تعتب على زوجتك؟ قال: (لا أظنُّ عاقلاً يفضحُ أهلَه)، فاشتدَّتِ الأمورُ بينه وبين زوجه، حتى حصل الطَّلاقُ، فقالوا له: الآن طلَّقْتَ المرأةَ، وذهبَتْ، قال: (الآن أعقلُ العقلاء من ستر أهله)، إذا كان ما فضحْتُها وهي تؤذيني، فكيف أفضحُها وكلٌّ قد ذهب إلى سبيله.

النُّفوسُ تسمو إلى الدَّرجات العلا، أن تبحثَ إلى الأكمل والأفضل، ما تجلس في كلِّ قضيةٍ تبحث عن حقِّك، (هذه تهيني، هذه ما تنظرُ إليَّ، هذه تزدريني، هذه تفعلُ، هذه تفعلُ):

مَنْ يَشْتَكِي الدَّهْرَ يَطُلْ فِي الشَّكْوَى فالدَّهرُ ما ليسَ عليهِ عَدْوَى

الذي يشتكي ما تنتهي الشَّكوى، لكن: **{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**(٢)، هذا مع الأعداء، كيف بالأولياء؟! كيف بعورة الإنسان؟!

يسمو المؤمنُ إلى الدَّرجات العُلا في الجنَّة، فيقول: (يا ربِّ، وفِّقْني، يا ربِّ أعني)، فإنْ رأى خيرًا حمده، قال: (اللَّهُمَّ لك الحمدُ أن رزقْتَني زوجةً بهذه الصفة).

وإن رأى عيبًا أو فسادًا أصلحه، فإن أبَتْ عليه وتمنَّعَتْ عليه، واستعان بالحيِّ القيُّومِ، وتوكَّلْ على الحيِّ القيُّومِ، سأل اللهَ المددَ والتَّوفيقَ والسَّدادَ، وقال: (العيبُ فيَّ، ربما كلامي لا ينفعُ، ربما أني لسْتُ قدوةً)، فأخذ يكمِّلُ نقصَه، ويسدِّدُ قولَه، ويصلحُ فسادَه، حتى تأتسيَ به المرأة، حتى يفتحَ اللهُ عليه بصلاحه.

وهكذا لا يزالُ المؤمنُ يسعى من طاعةٍ إلى طاعةٍ، ومن قربةٍ إلى قربةٍ، حتى يصبحَ زواجُه كلُّه قربةً لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٣.

يُزفُّ إلى الجنَّة والرّوح والرَّيحان، وربِّ راضٍ غيرِ غضبان، بامرأةٍ سترها، وأحسن إليها، واتقى اللهَ في معاملته لها.

الجنَّةُ أبوابٌ ودرجاتٌ، الذي يريد أن يدخلَ بيتَ الزوجية وهو يتفكَّرُ ويتدبَّرُ كيف يرضي اللهَ، وهذا ليس بالزوجية في كلّ شيءٍ، الشَّخصُ الذي يدخلُ كريمًا سيخرجُ كريمًا، والذي يبدأُ عملَه، ويبدأُ أمرَه بشيم الكرام، فلن ينتهي إلا بسلامٍ، ونعمَ السَّلامُ، الذي يدخلُ في أموره، خاصةً مع المعاملة مع المخلوقين، دائمًا قلبُك، تبدأ بقلبك، أول ما تبدأُ بقلبك، الزَّوجةُ لا تظلمُ إلا من قلبٍ ظالمٍ، ولذلك صدق النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: ((**أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ**))، إذا وجدتَّ بينك وبين الزوجة شيءٌ، أول ما تفتِّشُ عن قلبك؛ لأنه لا يسبُّها إلا مَن احتقر، ولا يُؤذي إلا مَن أهان الناسَ في قلبه، فتظهرُ آثارُ القلب على اللِّسان.

فأنت تبدأ أول ما تبدأُ بسداد القلب وصلاحه، لا تدخلُ في قلبك على زوجتك سوءًا، لا تظنَّ بها السُّوءَ، لا تحملْها على أسوأ المحامل، لا تجلسْ تتبع أخطاءها وما يكون منها من التَّقصير والزَّلل، بل دائمًا تتهمُ نفسَك، ومن هنا، الحرصُ على صلاح القلب في معاملة الأزواج والزوجات والأبناء والبنات.

ثانيًا: أن تعتقدَ أنك ضعيفٌ، مهما أُوتِيْتَ من الحكمة، ومهما أُوتِيْتَ من البلاغة، ومهما أُوتِيْتَ من الفصاحة، فلن تستطيعَ أن تُكمِّلَ نقصًا، ولن تستطيعَ أن تُصلحَ فسادًا، ولن تستطيعَ أن تَرقِّعَ رتقًا، إلا بتوفيق الله، أن تدخلَ بيتَ الزوجية أول ما تدخلُ بيتَ الزوجية ليكُنْ لسانُ حالك ومقالك: (يا حيُّ، يا قيَّومُ، برحمتك أستغيثُ، أصلحْ لي شأني كلَّه، ولا تكلْني إلى نفسي طرفةَ عينٍ).

لَمَّا تدخلُ بيتَ الزوجية مُستسلمًا، تحسُّ أنَّ هذه الزوجة يمكنُ أن تكونَ لك جحيمًا في هذه الدُّنيا، من الناس من يتزوَّجُ المرأةَ لتنتهي به إلى النَّار -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؛ لأنها لا تعينُه على طاعة الله، فيجاريها، فيصبحُ الأمرُ مثل التَّحدي، فلا يُسامحُ، ولا يَغفرُ، ولا يَصفحُ، ولا يَزالُ يُخطئُ، وهي تُخطئُ، حتى ينتهي بهما الأمرُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- إلى الشَّقاء.

لكن إذا برِئَ من الحول والقوّة، وقال: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله)، واستعظم الأمرَ أنه إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ:

إِنَّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى طَرِيْقٍ إِمَّا إِلَى الغَسَّاقِ أَوْ إِلَى الرَّحِيْقِ

نسأل اللهَ أن يجعلنا وإيَّاكم إلى الرَّحيق المختوم، فأنت تبرأُ من الحول والقُوّة.

إحسانُ النِّيَّة، البراءةُ من الحول والقُوّة، الأمرُ الثَّالثُ: الأخذُ بالأسباب، دائمًا لا تنظرْ لنفسك أنك الزوج، ولا تنظرْ لنفسك أنك الأب، ولا تنظرْ لنفسك إلى أنَّك، وأنَّك، وأنّك الذي تُطعِمُ، وأنك الذي تُنفِقُ، ولكن انظُرْ إلى أنك تبحثُ عن مرضاة الله، فإذا بحثْتَ عن مرضاة الله تنازلْتَ عن الكثير، يقولون لك: ضعيفٌ، يقولون لك: جبانٌ، يقولون لك: مسكيْن، والله هذا مسكينٌ، درويشٌ، والله هذا مسكينٌ، يمشي عليه، **{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**(١)، **{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**، ما معنى **{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**؟ من هو الذَّليل؟ (الدَّرويش، المسكين، شوف كيف يضيعُ حقُّه، ما يعرِفُ يأخذُ حقَّه، أنت امرأةٌ، ما أنت رجلٌ)، يقولُه للعبد المؤمن لَمَّا يصفح، فكذَّب اللهُ هذا القول، وبيَّنَ أنَّ هؤلاء يحبُّهم، وأنهم يحبُّونه.

مَن الذي عنده القوةُ والشَّجاعةُ أن يبدأ بالصَّفح عن أهله، أول ما يصفحُ عن أهله، ويغفرُ لأهل: **{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا}**(٢)، ماذا بعدها؟ **{فَإِنَّ اللَّهَ}**: بصيغة التَّوكيد، والاسم الظَّاهر، ما قال: (فإني)، **{فَإِنَّ اللَّهَ}**: وهذا يعرفُه من يعرفُ لسانَ العرب ومعانيه ودلائله، يدرك **{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**، فمن عفا عفا الله عنه، ومن أصلح ومن أحسن إلى الناس أحسن الله إليه.

فهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا: **صلاح النِّيَّة، البحثُ عن الكمالات، تركُ تتبع العثرات والأخطاء والزلات.**

كذلك أيضًا من أهمّ ما ينبغي على الموفَّق في زواجه: أن لا يدخلَ بينه وبين زوجه أحدًا من الناس، لا تدخلْ بينك وبين أهلك لا أبٌ ولا أُمّ ولا أخ ولا أخت، ولا أحد من الناس، الزَّوجةُ والزَّوجُ إذا نظرا في أمرهما يعرفان كيف يُسَيِّرا حياتهما، أكثرُ المشاكل وجُلُّ المشاكل تأتي من الغير.

فلو أنَّ الرَّجُلَ بمجرد زواجه من المرأة يقول لها: (يا أمةَ الله، نريد أن نرضيَ اللهَ، فلا يدخلْ أحدٌ بينا، الحقُّ حقٌّ؛ لأنه حقٌّ، وليس لأنَّ النَّاسَ قالَتْ: أنه حقٌّ، والباطلُ باطلٌ؛ لأنه باطلٌ، وليس لأنَّ الناسَ قالت: إنه باطلٌ)، ترسمُ لزوجتك المنهجَ السَّويَّ، ودائمًا تجعلُها على صراطٍ مستقيمٍ، أنها تعرفُ أنك تسيرُ للحقّ طاعةً لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وليس تبعًا لأهواء الناس.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٤.

عندها لَمَّا تأتي قضـية من القضـايا، **وتقول لك:** (والله أنت على صـوابٍ، ولكن ماذا أقولُ للناس؟)، **تقول:** (ألم أَقُلْ: إنَّ الحقَّ حقٌ، ولو أبطلَه الناسُ، ألم أَقُلْ لك: إنَّ الباطلَ باطلٌ، ولو قال النَّاسُ: إنه حقٌّ)، ترسمُ للمرأة منهجًا تَقتدي بك في مرضاة الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فإذا وُفِّقَ الرَّجُلُ إلى أن يتبعَ هديَ الكتاب وهدي السُّنة، وأصلح نفسه، واتقى اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، وتجاوزَ عن كثيرٍ من الأمور، العُظماءُ والكُبراءُ والنَّاسُ الذين سادوا الدُّنيا فضلاً وشرفًا ونُبلاً، ما تجدهم سادوا الدُّنيا بضرب الرِّقاب، وأخذ حقوقهم كاملةً، تجد عندهم عند الشَّجاعةَ والبسالةَ، وتجد أنهم قاموا بما يليقُ بالله، لكن حينما تنظرُ إلى شِيم الكِرام وصفحهم وإحسانهم وبرِّهم وحسن خلقهم، تجد شيئًا عجيبًا، تجد أنَّ هذا أجملُ من هذا، الآن لَمَّا يأتي ويقول لك: (هذا فلانٌ الذي يضـرب الرؤوسَ، وكان يجزُّها، وكان، وكان)، تقولُ: (غيرُه كثيرٌ)، لكن إذا قيل لك: (إنَّ هذا الذي عفا وصـفح عن فلانٍ الذي فعل به كذا وكذا)، تجد أنه صـعبٌ، وهذا الذي عناه الله: **{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَـبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**[1]، فتجدها محمدةَ الدُّنيا، ومحمدةَ الآخرة، فإذا كان هذا في الغُرباء، فما بالُك إذا كان في الأقرباء؟! ((**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**)).

ولا يزالُ الإنسانُ في سعادةٍ ما اتبعَ هديَ الكتاب والسُّنَّة، وهذا يستلزمُ أنَّ الإنسانَ، الآن تجد في زماننا علمٌ عجيبٌ جدًّا، يعني تجد البعضَ إذا جاء يدخلُ بيتَ الزَّوجية، ما ينقصُـه شـيءٌ من العلم، إن أراد مكتوبًا وجدَ من الكتب ما لا يحصى كثرةً، وإن أراد مسموعًا وجد من الأشرطة ما لا يحصى كثرةً، وإن أراد، أراد كلَّ شـيءٍ، لكن أين العمل؟! الكتبُ موجودةٌ، المعلوماتُ حتى أصـبحوا طريقةَ الزَّواج يفعلونها مثلَ، ما نريدُ أن نتكلَّم، صـار حتى بالترتيب: كيف تكوني زوجةً ناجحةً، وكيف تكونُ زوجًا ناجحًا، وكيف تكونُ زوجًا كذا، وكيف تكونُ زوجةً، كلُّ شيء موجودٌ، **لكنَّ السُّؤالَ:** أين العملُ والتَّطبيقُ؟

السَّلفُ الصَّالحُ ما كان عندهم هذا الحشو من الكتب، وما كان عندهم الكمُّ الهائلُ، أغناهم اللهُ بكتابه، آيةٌ واحدةٌ تَقودُ الإنسانَ إلى الجنَّة في معاملته مع الناس، واللهِ ما كذبْتُ، ولا بالغْتُ، إنَّ الرَّجُلُ يقرأُ الآيةَ من كتاب الله، ويمكثُ شـهرًا يَأخذُ بها ويُعطي، آيةٌ من كتاب الله، تقضُّ مضـجعَه، تخوِّفُه من الآخرة، أو آيةٌ من كتاب الله تشـوِّقُه إلى ربِّه، وتشـوِّقُه إلى الرَّوح والرَّيحان وإلى الفردوس وإلى الجِنان، كأنَّ نعيمَ الجنة أمامَ عينيه.

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٥.

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ الْغَاشِيَةِ}(١)، **{الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ}**(٢)، لو قرأْتَ قولَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- الآخرةَ كلُّها مجموعةٌ في: **{الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ}**، الآخرةُ كلُّها مجموعةٌ: **{إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا}**.

والعجيبُ أنَّ هذه جاءَتْ في قصار السُّور، بحيث إنَّ أطفالَ المسلمين الصِّغار يتعلَّمونها في صغر السّنّ: **{إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}**(٣)، فإذا نظرَ الإنســانُ إلى قوله: **{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}**، أيسرُّه أنَّ الأرضَ تتكلَّم عنه ظالِمًا لزوجه؟ أيسرُّه أن تتحدَّثَ الأرضُ عن سبّه وخصامه وإهانته لزوجه؟ أيسرُّه أن تتحدَّثَ الأرضُ عن تضييقه على زوجه وعنته وتفسيره للدِّين بفهمه؟

البعضُ يأتي لا يقبلُ لأحدٍ أن يُفسِّرَ له الكتابَ والسُّنَّةَ، هو الذي يَشتغلُ في بيته يُفسِّرُ ويجتهدُ كيف شاء، ثم بعدَ ينسبُ إلى الدِّين والشَّرع، فيحرِمُ زوجَه من الخيرات، ويحرِمُ أولادَه من الخيرات، ويضيِّقُ عليهم، ويدّعي أنَّ اللهَ معه، وأنَّ اللهَ راضٍ عنه -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- زُيِّنَ له سوءُ عمله.

فإذا قال: **{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}** قال: أين؟ ثم انظُرْ كيف النِّهاية في كلمتين: إمَّا سعداءُ، وإمَّا أشقياءُ، إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار: **{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ}**(٤)، هذه حكومةُ الآخرة كاملةٌ، مجموعةٌ في هذينِ المقطعينِ: **{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}**، اللهم اجعلنا ممن ثقلَتْ موازينُه، تثقلُ موازينك بماذا؟ بهذه الأعمال الصَّالحة، في أقرب الناس إليك، إنَّ العبدَ ليصفحُ عن الغرباء، فيَنالُ ألوفَ الحسنات، لكن يَصفحُ عن زوجته، يَصفحُ عن أولاده، ويكون الأبَ الرَّحيمَ، ينالُ ملايينَ الحسنات: ((**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**))، ابحثْ عن الخيريّة، وضحِّ من أجلها، وسابقْ ونافسْ هؤلاء.

هذه زوجتُك، هذه المسكينةُ التي تجلسُ بين أربعة جدرانٍ، خاصةً في زمان الفتن والمحن، تجدها وليَّةً من أولياء الله، مهما صاحَتْ، لَمَّا تأتي وتصيحُ عليك، تقول: هذه مسكينةٌ من تعب البيت، من تعب

(١) سورة الغاشية، آية: ١.

(٢) سورة القارعة، آية: ١-٢.

(٣) سورة الزلزلة، آية: ١-٥.

(٤) سورة القارعة، آية: ٦-١١.

أولادها، أمَّا الشيطان: لا، كيف تصيحُ عليك؟ أنت رجلٌ ولا امرأةٌ؟ كيف تفعل بك؟ كيف، كيف؟ ما يريد عدوٌّ لدودٌ: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا}**(١).

لكن إذا قال: سبحان الله! انظُرْ كيف الآن جالسةٌ لأولادي، وجالسةٌ على ثيابي، وجالسةٌ على طعامي، تصيح، من حقّها أن تصيح، ثم جاء وقال لها: يا أُمَّ فلانٍ، اذكُرِي اللهَ، إنَّ اللهَ يعينُك، إنَّ اللهَ يساعدُك، وذكَّرها بالله، فإذا هذا البيت تُشرِقُ عليها أنوارُ الوحي، هذا الزَّوجُ الذي ما سمعَتْ من الملائكة إلا خيرًا، هذا الزَّوجُ الذي يَقودُ البيتَ بكتاب الله وأنوار الوحي، هذا الزَّوجُ الموفَّقُ المسدَّدُ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ذلك الرَّجل.

وخيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ، وجماعُ الخير كلّه: في تقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فنسأل الله بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يهدينَا لأحسن الأخلاق والأقوال، لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرفَ عنَّا وعنكم شرَّها وسيّئَها، لا يصرفُ عنَّا وعنكم شرَّها وسيّئَها إلا هو، اللهم وفّقْنا لما تحبُّ وترضى، وخُذْ بنواصينا لكلّ برٍّ وتقوى، يمِّنْ كتابَنا، ويسِّرْ حسابَنا، واسترْ عوراتِنا، وآمنْ روعاتِنا، اللهم ارزقْنا السَّداد والرَّشادَ فيما بينا وبينك، وفيما بيننا وبين خلقك، اللهم اجعلْنا ممن رضيْتَ قولَه وأرضيْتَه، اللهم اجعلْنا ممن رضيْتَ عملَه وأرضيْتَه، نعوذُ بك مما يغضبُك، ومما يسخطُك، أعوذُ بالله من غضب الله، نعوذُ بالله من سخط الله، اللهم اجبرْ كسرَنا فيما بيننا وبين خلقك، اللهم اجبرْ كسرَنا فيما بيننا وبينك، واجبرْ كسرَنا فيما بيننا وبين خلقك.

سبحانَ ربّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٣.